

حياة
الإمام شرف الدين
في سطور

تأليف
الفقيه ابراهيم العلامة الشيخ أحمد قبيسي
طاب ثراه

أخرجه وأشرف على طبعه
الشيخ حسن قبيسي

دار النوجيه الاسلامي

للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان



الْفَقِيْهُ الرَّحِيْلُ الْمَغْفُوْرُ الْعَلَامَةُ الشَّيْخُ أَحْمَدُ الْقُبَيْسِيُّ طَابَتْ لَهُ

صُيْبَةُ لِلْعَالِمِ مِنْ وَقَعْرِهَا
 مَضَى عَنْ الدُّنْيَا فِتْنًا كَمَا
 قَدْ افْتَقَرَتْ رَحْمَتُهَا
 يَوْمُ بَدَا الْخُلْدُ ارْتَحَتَا
 قَصَدَتْ لِلدِّينِ أَرْكَانُ
 بِمَضَى قُبَيْلِ الْفَصْلِ نَيْسَانُ
 مِنْ رَبِّهِ رَوْحٌ وَرَبَّحَانُ
 «أَحْمَدُ قَدْ صَاحَ فِي رُضْوَانُ»
 ١٣٩٢ هـ

تعريف بالكتاب

عزيزي القارئ

هذا الكتاب الذي اضعه بين يديك هو رسالة تتضمن حياة شخصية اسلامية عظيمة نذرت نفسها في سبيل خدمة الاسلام ففرست وانتجت وما زالت تؤتي ثمارها حتى يومنا هذا صنعه مؤلفه - رسالة بكالوريوس - عند التخرج من كلية الفقه في النجف الاشرف ثم عزم على تنقيحه وتدقيقه وتهيأته للنشر بعد ان انتهى من المهمة التي الف لاجلها تعميما للفائدة وتخليدا للمعظماء .

ولكن مفاجأة القدر واختطاف يد المنون له باكرا حالت دون تنفيذ رغبته وتحقيق امنيته وها انا الان اكمل الشوط الذي بدأه تخليدا لذكراه ووفاء لاختوته وجزاء لخدمته كيلا ينقطع ذكره في دار الدنيا من كتاب ينتفع به نسأله ان يحقق به الفائدة المرجوة والنفع المطلوب .

والمرجو هو ان يقع موضع الاعجاب والتقدير منك ايها القارئ العزيز وان لا تنسى الجميع من الدعوة بان يتغمدهم بالرحمة والرضوان وان يعرف بينهم وبين أئمتهم الاطهار انه ارحم الراحمين .

حسن محمد آل قبيسي العاملي

نبذة عن المؤلف

ولد المؤلف في جبل عامل بقرية « انصار » قضاء النبطية
سنة ١٣٥٦ هـ ١٩٣٦ م .

تتلذذ على يد والده الحجة الشيخ محمد حسن القبيسي ثم
انخرط في سلك طلاب العلوم الدينية سنة ١٩٥١ م .
درس العلوم الدينية « السطوح » ضمن الحوزة الدينية في
النجف الاشرف ودرس العلوم الدينية « الخارج » على يد فطاحل
مدرسي الحوزة الدينية وعلى رأسهم السيد الحكيم تغمده الله
وطيب ثراه : والسيد الخوئي دام ظله العالي وامتد في عمره
وعمر العلماء العاملين فكان مثال المجد المجتهد .

انضم الى « كلية الفقه » في سنة ١٩٥٨ - ١٩٥٩ م -
١٣٧٩ هـ كان فيها مثال المحصلين والمشتغلين فحاز على شهادة
« البكالوريوس » في اللغة العربية والعلوم الاسلامية سنة
١٩٦١ - ١٩٦٢ .

شغل منصب المرشد الديني في العراق « بناحية الفجر » لواء
الناصرية سنة ١٣٨٠ لمدة ستة سنوات فكان مثالا للداعية الدينية
بالاسلوب والعمل .

بعدها انتقل الى لبنان فكان له المنصب الديني في جبل عامل
بقرية « زبدین » القى بكل ما لديه من قوة ونشاط في سبيل لم

الشعث وجمع الكلمة •

لم يدع للعمل مجالا يتمكن عليه الا سلكه فلقد جدد بناء المسجد المتداعي وانشأ حسينية فريدة النظير •

ارتحل عن هذه الدنيا مبكرا فقد توفاه الله عن عمر يناهز الخامسة والثلاثين سنة ١٣٩٣ هـ بحادث حيث كان متوجها لزيارة الامام الحسين (ع) في اربعينه بعد مضي سبعة ايام مضت عليه في مستشفى دمشق نقل الى بيروت ثم الى مقره الاخير « بزبدین » حيث مثواه الاخير في ضمن المشروع الذي اسسه بداخل غرفة على اليد اليمنى شيع اعظم تشييع وابن ورثى، كان الميدان ممتلئا بالخطباء والشعراء تجلت فيه القدرات والمواهب تغمده الله بواسع الرحمة والمغفرة واسكنه الجنة مع أئمة البرره •

أخوك

حسن محمد آل قبيسي العاملي

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إذا كان لا بُدَّ لكل عمل من داع يبعث له فان كتابة هذه السطور كان الدافع الى تحريرها ، طلب استاذ الادب العربي في كلية الفقه بالنجف الاشرف .

ففي الايام التي تلت امتحان نصف السنة - للسنة الرابعة بكلية الفقه - طلب من كافة طلاب الصف كتابة بحث (١) لا يقل عن عشرين صحيفة ، على ان يقدم لسيادته ، كيما يقرر للطالب - على ضوء كتابته - درجة الامتحان ، في مادة الادب لتلك السنة .

اما اختياري لهذا البحث بالذات ، فذاك ما يعود الى ارشاد الدكتور نفسه ، حيث حُبب لي الكتابة فيه ، عندما استجزته في الكتابة ببحث (معين) ، بعد انتهائه من محاضرة الدرس في احدى الايام .

غادرت الكلية ورجعت الى البيت ، وأخذت افكر في كيفية

-
- (١) اوضح الدكتور لنا ان المراد من البحث : اما معالجة موضوع ما .
معالجة أدبية . او ترجمة شاعر ، او ناثر ، او شخصية علمية .
شريطة ان يكون كل ذلك له علاقة او مساس بجامعة النجف الاشرف .

كتابته ، وكيفية العثور على مصادر للبحث ، ومدى مقدرتي
على الخوض فيه .

وبعد مدة مضت ، عدت الى الموضوع - بعد ان هيا الله لي من
المصادر ما امكن تهيأته - وعكفت على احضاره فكانت هذه
الصفحات التي بين يديك أخي القارئ الكريم .

وشرعت بكتابة هذا البحث فلاحظت ان من الممكن لي تأدية
الحاجة ، بمعالجة جانب واحد من حياة الامام شرف الدين المليئة
بالروح الحيوية والاسرار الجليلة .

الا انني - بعد التفكير - أثرت الكتابة بايجاز في معظم
جوانب حياته ليكون البحث كرسالة متضمنة الكشف - الى حد
ما - عن مظاهر العظمة في حياة هذا الامام : العلمية والعملية .
ومنه تعالى استمد التوفيق . وهو حسبي ونعم الوكيل .

احمد القبيسي العاملي هـ ١٣٨٢/٥/٢٥
م ١٩٦٢/١٠/٢٥

المدخل للبحث

- حياة العظماء • • • • •
- علمائنا ورسالة الاسلام • • • • •
- الازهر الشريف والحركة العلمية الاسلامية
- بغداد والحركة العلمية الاسلامية • • •
- النجف الاشرف والحركة العلمية الاسلامية
- العاملون والحياة العلمية • • • • •

حياة العظماء

حياة العظماء صفحات مشرقة تنطوي جنباتها على دروس وعظات ، تبعث على الجهاد في سبيل الاصلاح ، والعمل المثمر الحي . فهي معان انسانية رفيعة ، نستقي منها الحماس والعظة بغية الرقي الى مستوى اولي الآمال العالية ، والجهاد الناجح ، في سبيل الحياة الحرة وخدمة المجتمع الانساني .

ولا يسعنا - كمسلمين - الا ان نعتز للعلماء الاعلام من قادة الاسلام وحملة رسالته ، بجميل الفضل في تحرير أصول العقيدة الاسلامية ، وقيادة الحركات الاصلاحية ونشر العلوم ، والابحاث العلمية المفيدة .

ونحن اذ نخوض عباب العلوم المختلفة فانما نخوضها بدافع من العقيدة الصحيحة ، والايمان بمبادئ العقيدة الاسلامية ، التي يمثلها اولئك النفر ، فيدعوننا لخوض تلك العلوم التي نقبل عليها .

علماءنا ورسالة الاسلام

سطعت اشاعات الاصلاح على مسرح الحياة الانسانية يوم بزغ نور النبي محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله . وانكشفت حجب الفساد يوم خاطبه الجليل تعالى قائلا «فاصدع

بما تؤمر واعرض عن الجاهلين» • وعندما نهض حاملاً لواء
الاصلاح ، داعياً الى سبيل ربه بالقول والموعظة الحسنة • آخذاً
بيد الانسانية جمعاء الى حيث الخير والسعادة والطمأنينة
والهناء •

ومضى النبي ص الى ربه فقام بعبيء الرسالة من بعده
اوصيائه - آله من اهل بيته الطاهرون - سالكين سبيله
ومنتهجين نهجه في الدعوة الى دين الله الحكيم وحمل الناس على
سبيله الاقوم الامين وصراطه المستقيم •

مبدأ الكفاح في سبيل اعلاء كلمة الحق ، كلمة الاسلام ،
واسعاد الانسانية جمعاء ، كان منهج الدعوة الاسلامية التي قام
بها محمد (ص) وآله (ع) الطاهرون • هكذا كانوا • وهكذا
سار على هديهم من بعد رجال صهروا انفسهم بروح الاسلام
ومثلت تعاليمه في سائر جوانب حياتهم • بالعمل قبل القول
وبالفعل قبل الكلام • عاملين على ائادة طريق الخير والصلاح
للجاهلين ومنبهين الغافل ومذكرين الساهي كي يؤب الناس
الى تعاليم الاسلام الالهية واهدافه الانسانية حتى اصبحوا من
اولئك الافذاذ الذين قال النبي الاكرم في حقهم قولته المعروفة
« علماء امتي انوار يهتدى بهم في الظلمات » •

على مثل هذا سار السلف من علمائنا الاعلام ، وقادتنا
الروحانيين وكونوا من اجل ذلك حلقات الدرس والتدريس ،
وامسوا المدارس والمعاهد •

ولنفس الهدف ، وبنفس الدافع ، تكونت مدرسة الازهر
الشريف في مصر ، ومدرسة بغداد في العراق ، وبعدها مدرسة
النجف الاشرف ، في العراق ايضا •

ولعل من الخير ان نشير الى كل من هذه المدارس ، بشيء من
الايجاز ، ليكون ذلك أتم للفائدة ، واكمل للبحث .

الازهر الشريف ، والحركة العلمية الاسلامية :

في القرن الرابع الهجري ، شهدت القاهرة مجمعا علميا حافلا
برجال الدين والعلماء ، الذين أموا جامع « الازهر » الشريف ،
متخذين من مدرسة او اكااديمية يتداولون به الابحاث العلمية ،
والمعارف الاسلامية ، والادبية . كل ذلك كان من اجل القيام
بخدمة رسالة السماء ، - رسالة الاسلام - وتبليغ احكامه ،
والدعوة الى سبيله ، التي رسمها النبي محمد واله الطاهرون .

ولعل من الحق ان نقول : ان تلك الحركة العلمية الازهرية،
كان لها الاثر الكبير في نشر معالم المبدأ الشيعي ، واطهاره
واضحا على شاشة التاريخ في الشرق والغرب . وما تلك
المشاعر التي تكمن الحب والود لآل البيت، في صدور المصريين،
وأبناء المغرب اليوم ، الا ثمرة من ثمرات تلك الحركة ، التي
اطلعت الرأي العالمي على محاسن المذهب الشيعي ، وكشفت لهم
النقاب عن حقيقة اهل بيت الرحمة كشفا زرع حبه في نفوس
الارواح المسلمة حقا . ومما جعل هذا النوع من الحب ، تتوارثه
الابناء عن الآباء جيلا بعد جيل . فمثلا لذلك (طه حسين) فهو
حين يحدثنا في (أيامه) عن روح صباه البريئة - يوم كان
يتلهف للذهاب مع ابيه الى القاهرة ، ليشاهد مقام السيدة زينب
ومقام رأس الحسين - يكشف لنا عن ان مجتمعه كان على صلة
اكيدة ، بحبه لاهل البيت . اما طه حسين نفسه حين ذهب الى
الغرب الى بلاد الصليبيين ، وزرعوا في نفسه آرائهم وافكارهم

جاء - وكأنه موفد لذلك - فأنقض على دستور الاسلام وتاريخه
وامجاد العرب الادبية محاولا بما بهره به الغرب ، أن يشكك بكل
هذه المفاخر التي يبكي الغرب ليحرز شيئا منها .

لقد كان بجانب الازهر الشريف في خدمة الثقافة والاسلام ،
تلك المكتبة الذهبية « دار العلم » التي صرفت عليها الدولة
الفاطمية الاموال الطائلة خدمة للدين والمذهب والثقافة .

فقد حضنت أخيرا ما يقرب من مائتي ألف جلها من الكتب
المخطوطة الاثرية ، والتمينة النادرة . كان من بينها « ٢٤٠٠ »
نسخة من المصاحف المذهبة الفاخرة (١) . بقيت تلك المكتبة
عامرة حتى جارت عليها يد الاجرام التركية ابان فتنة المغول
التي حصلت في عهد المستنصر الفاطمي . ثم تألفت بعدها مكتبة
زخرت بالمجاميع التي جلبت لها من هنا وهناك . وقد تم القضاء
عليها بيد الاجرام التركية - ايضا - يوم دخل مصر صلاح الدين
انقاض الدولة الفاطمية ، اذ انقض عليها مع زمرة في جملة
ما ابادوه من الشيعة وآثارهم .

اما الازهر الشريف فقد ظل آخذا في اداء رسالته طيلة
قرنين - تقريبا - شاقا طريقه في عالم الجهاد حتى استولت
الحكومة الايوبية على مصر فقضت على الحركة العلمية الشيعية
واعتدت على اموال ابنائها وشردت وقتلت وفعلت الافاعي
التي تدمي الضمير الانساني .

يقول (المستشرق فيليب حتى) في معرض حديثه عن حياة

(١) تاريخ العرب . ترجمة محمد مبروك نافع . الكتاب الرابع ص ١٧٦ ط
بغداد .

صلاح الدين : « وكان اقصى امانيه في الحياة امنيتان يضطرم بهما قلبه . احدهما : ان يحل المذهب السني محل المذهب الشيعي في مصر . والثانية : ان يثير حرباً مقدسة او جهادا ضد الفرنج » (١) . والواقع ان صلاح الدين بعد ان استولى على مصر اثار حربا ضد المذهب الشيعي وآثار الفاطميين وتلاها بحربه ضد الغرب .

بغداد والحركة العلمية الاسلامية :

في القرن الرابع عشر والخامس عشر - للميلاد - أبان حكم البويهيين ، كانت بغداد حافلة بحلقات الدرس وندوات العلم ، عامرة برجال العلم وطلابه . بل لقد اصبحت موئل العلم والعلماء ، ومحط رحالهم منها ومن معينها يستورد العالم الاسلامي الجعفري، رجال العلم وحملته من اجل تثقيف ابنائها، واليه يرجع في احكام الاسلام العامة ، حيث تركزت فيها القيادة الاسلامية للمذهب الجعفري، الذي دارت رحى الدراسات الفقهية - يومذاك - طبقا لارائه ، واهدافه ، وغاياته .

وتبعاً لما كان للعلم من تقدم في بغداد يومئذ ، فقد برز فيها ابطال للعلم وقادة للاسلام . كان منهم زعيم الطائفة الجعفرية المفيد (٢) ٣٣٦ - ٤١٣ هـ . والشيخ حسين بن علي تالمغربي ٣٧٠ - ٤١٨ هـ (٣) . والشيخ حسين بن علي بابويه القمي ، (٤) اخو الشيخ الصدوق والشيخ محمد علي

-
- (١) المصدر السابق ص ١٩٥ .
 - (٢) اوائل المقالات ص م . ج . المقدمة .
 - (٣) رياض العلماء ص ٧٢ .
 - (٤) روضات الجنات ص ١٨٢ ج ١ .

الكركي ، والشيخ نظام الدين بن سليمان الديلمي ، والشيخ حمزة بن عبد العزيز الديلمي ، وشيخ الطائفة الجعفرية : ابي جعفر محمد بن الحسن الطوسي ٣٨٥ - ٤٦٠ هـ - مؤسس الحركة العلمية في النجف الاشرف - ومن قبله السيد المرتضى وأخوه الشريف الرضي .

وكذلك بقيت بغداد محط رجال العلم وطلابه حتى قضت دولة السلاجقة بفتنها واختلافاتها على الحركة العلمية الجعفرية هناك اثر ما لحق الشيعة وقادتهم من الضيم الشنيع .

فقد اعتدى المخالفون على الكثير من ابناء الطائفة ونهبت أموالهم وشردوا من ديارهم . حتى دفعتهم جرئتهم الاجرامية للاعتداء على شيخ الطائفة ورئيسها يومذاك (١) . واحرق كرسيه - كرسى الكلام الذي لا يعطى الا للمتوحد (٢) من اعلام عصره - ونهبت داره كما واشعلت النار في مكتبته . مما حفزه على ترك بغداد والالتجاء الى النجف الاشرف حيث هناك مرقد سيد الاوصياء امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام .

النجف الاشرف والحركة العلمية الاسلامية :

رحل شيخ الطائفة ابي جعفر محمد بن الحسن الطوسي مع طلابه الى النجف الاشرف عام (٤٤٨) هـ ، ولجأ الى قبر وصي رسول الله يستمد منه الاندفاع الى خدمة العلم وخدمة الاسلام ، والانسانية عامة .

(١) وهو الشيخ الطوسي قده (ح) .

(٢) اي المتفرد . (ح) .

نزل شيخ الطائفة في النجف ، وأخذ في تأليف الحلقات العلمية ، جاعلا من داره (١) التي يسكنها مدرسة له ولطلابه الذين لحقوا به وتوافدوا الى النجف بعد ان حل بها رئيسهم .
ومنذ ذلك اليوم فقد اخذت النجف طابع الجامعة - او الاكاديمية - العلمية واصبحت موئل الطلاب والعلماء يتوافدون عليها من كل حدب وصوب . وهي مستمرة في النجف حتى يومنا هذا . حيث نجد عشرات المدارس العلمية غاصة بألوف الطلاب الوافدين من مختلف البلدان الاسلامية وغيرها القريبة والنائية .
فكنت وما زلت تجد العراقي والبناني والحجازي والسوري والبحراني والفلسطيني الى جانب التركي والباكستاني والفارسي والصيني والافريقي . يقومون بمهمة البحث والتحقيق والتأليف والتدريس .

فالنجف اليوم مرقد وصي رسول الله ، وخليفته ، وموئل العلماء في العصر الحاضر . فيها تركزت القيادة العليا للمذهب الاسلامي الشيعي الجعفري ، فاصبحت مطمح انظار المسلمين وعاصمتهم .

والنجف اليوم هي الجامعة الاسلامية ، التي مر على تكوينها ما يقرب من الف عام ، دائبة في تغذية النفوس بنور العلم

(١) فقد جعل داره مدرسة في حياته ومدفنا له حين مماته ومسجدا للمسلمين بعد وفاته . وبهذا فقد جعله مدرسة للنجف حتى الابد . حيث تقام حلقات الدرس بالنجف فيه وفي غيره من المدارس الآن . ولقد جددت عمارته هذا العام . وبلغني ان سوف تؤلف اللجان لتقوم بمهرجان ذكرى الالف عام على ولادة شيخ الطائفة الطوسي (*) .

(*) لقد تم المهرجان واقام في ايران وكان عظيما تجلت فيه قدرات الخطباء والشعراء . (ح)

والمعرفة ، غنية في رصيدها الثقافي بشتى مجالاته سواء في ذلك العلوم العربية ، أم الفقه الاسلامي واصوله ، أم الفلسفة بمختلف وجهاتها أم الادب ، نثرا وشعرا .

والواقع ان الفضل في استدامة الحفاظ على تراثنا الاسلامي والعربي يعود الفضل فيه الى النجف الاشرف في العراق والازهر الشريف في مصر . الا ان النجف امتازت على الازهر بمرونتها الفكرية الخاصة بفتح باب الاجتهاد على مصراعيه امام العقول النيرة لتنتقل بحدية في التفكير واستنتاج الاحكام الشرعية من مظانها المعبر عنها بعملية « الاجتهاد » . وهذا مما جعل العقول تتصارع على بساط البحث ، والنقاش من اجل البلوغ الى الرأي الحق ، عن طريق الجدل العلمي ، والبرهان الصادق .

ولمثل هذا دعى المفكر العالمي (برنارد شو) حيث يقول « تعلموا كل شيء بواسطة الجدل والوقوف على الآراء المتناقضة . واعلموا ان هناك مؤامرة ابدية تريد ان توقفكم على وجهة نظر واحدة فاحبطوها باتباع نصيحتي (١) » .

ومن هنا فقد توصلت النجف الى ارقى الثمرات العلمية في الفقه واصوله ، وحررت الابحاث الاصولية على شكل حديث ، كما وحدث فيها مباني جديدة مما يدل على هذا وغيره على مدى سعة وعمق الحركة الفكرية في النجف الاشرف .

وقد تمخض عن ذلك كله ان تخرج من مدرسة النجف الاشرف علماء عظام بكل ما للعظمة من معنى ، سواء كان ذلك في العلوم

(١) يجب هدم جميع الجامعات في العالم (حديث لبرنارد شو) نشر في مجلة البيان النجفية س ٦ ، ٤٦٤ .

العربية ام الفقه ، او اصوله ، ام الفلسفة ، ام المنطق ، ام التفسير ، ام التاريخ .

والتاريخ يطالعنا بمئات الشخصيات العلمية ، التي كانت حصيلة جامعة النجف العلمية ، وحتى ايامنا هذه ، نجد ان جامعة النجف ، تخرج في كل عام ما يربو على المائة من العلماء ، من ذوي الاجناس المختلفة . المتفقيين في وحدة الهدف الفكري ، وسلامة العقيدة ، التي تسيطر على رجال الجامعة ، فتذيب كل هذه الجنسيات المختلفة في بوتقة اسلامية موحدة . فتراهم كأنهم ابناء عائلة واحدة يسعون نحو هدف واحد ، يعتقدون عقيدة واحدة ويحاربون التيارات المناوئة للاسلام ، في صف واحد .

العاملون والحياة العلمية :

في الجانب الجنوبي من بيروت - في لبنان - على ساحل البحر تقع جملة من المدن والقرى تدعى بـ (جبل عامل) يسكنها ابناء الطائفة الشيعية الجعفرية - على الاغلب - ، عرفت بطيب الهواء ونقاؤه . وعدوبة الماء وطيب التربة . تتميز ابنائها بالذكاء واعتدال القرائح .

نبلغ فيه من القرن السادس الهجري او قبله الى اليوم في كل عصر من العلماء في كل فن والشعراء والادباء والكتاب العدد الكثير الذي يفاخر به جبل عامل سائر الاقطار . ويفاخر بهم عصرهم سائر الاعصار والذين ان لم يكونوا قد امتازوا عن سكان باقي الاقطار فلا ينقصون عنهم . ولم ينقطع منه العلم الى وقتنا هذا (١) .

(١) خطط جبل عامل للسيد الامين ج١ ص ٥٧ .

قال الشيخ التستري : « لا توجد قرية من قرى جبل عامل لم يخرج منها جماعة من فضلاء الامامية وفقهائهم وجميع اهالي جبل عامل الخواص والعوام والشريف والوضيع يجهدون في تعلم وتعليم المسائل الاعتقادية والاحكام الفرعية طبق مذهب الامامية . ويقتدون في التقوى والمروءة والفقر والقناعة بطريقة صاحبهم ومولاهم (١) . ومع تسلط الرومية « العثمانيين » يظهرون همة فائقة في نشر مذهبهم » (٢) .

وقال الشيخ الحر العاملي : « سمعت من بعض مشايخنا انه اجتمع في جنازة في قرية من قرى جبل عامل سبعون مجتهدا في عصر الشهيد الثاني وما قاربه » (٣) . وان عدد علماء جبل عامل يقارب خمس عدد علمائنا المتأخرين هكذا مؤلفاتهم بالنسبة الى مؤلفات غيرهم . مع ان بلادهم اقل من عشر العشر اعني جزءا من مائة جزء (٤) .

نعم سجل علماء جبل عامل في ميدان الاصلاح والمعرفة ارقاما لا تداني ومراتب لا توصف . فقد بلغ من تطلعهم للعلم والثقافة ان بقيت افران عكا تشتغل في كتبهم ستة ايام - يوم حادثة الجزار المشؤومة - عدا ما سرقه اهل فلسطين وحمله الهاربون من نفائسها الى بلاد غيرهم .

اما المدارس الدينية فقد بلغ من انتشارها في انحاء جبل عامل انه لم يبق قرية الا واسس فيها سوى القليل منها فمدرسة

(١) ابي ذر الغفاري رضوان الله تعالى عليه . (ح)

(٢) معرب عن مجالس المؤمنين ج ١ ص ٧٧ .

(٣) امل الامل في علماء جبل عامل . والسيد الامين في خطه .

(٤) المصدر السابق . والسيد امين في خطه .

الكوثرية الشيخ حسن القبيسي (١) ومدرسة جبع للشيخ عبد الله نعمة ، ومدرسة كفرة للشيخ محمد علي عز الدين ، ومدرسة شقراء للسيد موسى الامين ، ومدرسة انصار للسيد حسن ابراهيم ومدرسة النباطية للسيد حسن مكّي ، ومدرسة طيردبا للشيخ حسين مغنية ، ومدرسة عيناتا للسيد نجيب فضل الله ، ومدرسة شحور للسيد يوسف شرف الدين والد المقدس السيد عبد الحسين شرف الدين ، ومدرسة بنت جبيل للشيخ موسى شرارة ، ومدرسة مجدل سلم للشيخ مهدي شمس الدين رحمة الله تعالى عليهم وغيرها كثير .

والحقيقة ان هذه المدارس وان لم يطل عمرها الا انها جميعا سجلت خدمات جليلة للاسلام والعلم ولغة الضاد ويكفي للتدليل على أثرها « ان يبلغ عدد طلاب مدرسة المحقق الميسي اربعمائة طالب فيما يقال » (٢) .

امتاز علماء جبل عامل بتحمل الصعاب والمتاعب من اجل خدمة الاسلام والقيام بواجبهم الديني . يدفعهم الى ذلك الهمة العالية والصبر والجلد الذي جعل منهم ابطلا منتشرين - حتى يومنا هذا - في شتى البلاد الاسلامية سواء في العراق او ايران والهند والبحرين وسوريا والكويت . علاوة على مراكزهم المتعددة في جبل عامل .

ومشيخة الاسلام في اصفهان وطهران وخرسان وهراة وحيدر آباد وغيرها التي جعلت توليتها للشيخ البهائي ووالده والمحقق الكركي والحر العاملي . ولقب الشهيد الذي لم يمنع

(١) جلدنا الأكبر . (ج)

(٢) السيد الامين في خطط جبل عامل ج ١ ص ٥٦ .

لسوى اثنين من جبل عامل - على كثرة المستشاهدين من العلماء -
محمد بن مكى الشهيد الاول . وزين بن علي الشهيد الثاني .
ولقب المحقق الذي لم يمنح لسوى اثنين - على كثرة المحققين -
جعفر بن سعيد الحلبي . والشيخ علي بن عبد العال العاملي
المحقق الثاني او الكركي (١) .

هذه السمة من العظمة والجلال سجلها علماء جبل عامل في
ماضيهم . اما في العصر الحاضر فقد برز منهم عدد لا يستهان
به ، يتقدمهم الامام الامين والامام شرف الدين .

اما الامام الامين فهو بمكانته العلمية المرموقة وخدماته
الدينية الجليلة ومؤلفاته الواسعة وجهاده الطويل وصيته
الرفيع . فقد سجل له الزمن ذكرا لا ينسى ومنزلة لا تنال .

سكن الشام - عليه الرحمة - عاصمة الامويين وهي تضطرب
بالوان الفساد - والانحلال الخلقي - وتضج بالنعرات الطائفية .
فنهض باعباء الارشاد والتوجيه والاصلاح وتوحيد الصفوف
حتى نال من ذلك منيته وحقق هدفه . هذا الى جانب مدارس
الذكور والاناث ومخازن الكتب التي اشادها وركزها من اجل
نشر الثقافة الاسلامية في دمشق نفسها .

هذه الخدمات العظمى وكثير من الاعمال الاخرى - التي
لسنا بصدد بيانها هنا - جعلت الامام من عداد المجاهدين الخالدين
في دنيا الاصلاح الديني والذين اوقفوا انفسهم لخدمة الانسانية
والدعوة الى الاسلام .

واما الامام المحقق السيد شرف الدين الذي استقل بعد وفاة

(١) خطط جبل عامل ج ١ ص ٦٠ .

السيد الامين بزعامة الطائفة الشيعية في جبل عامل . فقد ذاع
صيته الرفيع في الاقطار الاسلامية وغيرها . بما جاء به قلمه
الشريف وفكره الوقاد من الكتب الاسلامية والاجتماعية
الجليلة .

ولقد اطرى بحقهم علامة عاملة الشيخ محمد جواد مغنية على
أثر مسألة وردته من قطر يطلب فيها صاحبها اعلامه عن كتب
السيد شرف الدين . وعنوان مراسلته . فقال :

« لقد كان السيد شرف الدين عالما بحق لانه عامل . وكان
السيد محسن الامين بحق لانه عامل . ثم ذهب كل الى ربه وبقي
مكانهما شاغرا . لقد ذهبا ولكن بقي عملهما شاهدا على العظمة
والخلود . يراه الله ورسوله والناس اجمعون . » (١) .

هذه اللوحة الخاطفة عن اعمال هذين الامامين وخدماتهما
الجليلة في مجالات الفكر والعقيدة تدفعنا الى ان نلم المامة
قصيرة بحياتهما لنستقي من نديرها الفياض دروسا في
الجهاد والعمل .

اما الحديث عن حياة الامام شرف الدين فسوف نقوم به في
هذا البحث املا في تأدية بعض الواجب اتجاه عظمتة العلمية وان
كان الباع اقصر من ان يلم بحياته المليئة بالدروس والعظات الا
ان نزولنا عند القاعدة العقلية « ما لا يدرك كله . لا يترك كله »
دفعنا الى القيام بما يمكن تأديته في هذا المضمار . واما الحديث
عن حياة الامام الامين فالذي اعرفه هو قيام بعض الزملاء الكرام
بتأدية الواجب دونه .

(١) السيد عبد الحسين شرف الدين . العرفان : م ٤٧ ص ٩٢٨ .



الابام عبدالحسين شرف الدين الموسوي
قدس الله سره

الامام شرف الدين

- مولده ونشأته
- حياته العلمية
- هجرته الى سامراء
- هجرته الى النجف الاشرف
- اساتذته ومشائخه
- منزله العلمية
- الحياة العلمية في عصره
- نشاطه في حقل التأليف
- ثقافته وأدبه

مولده ونشأته

من العظماء من لا تكون سيرة حياتهم الشخصية ذات مساس في سمو ذاتهم وعلو مقامهم في ميدان العلم والاجتماع . ان مثل هؤلاء لسنا بحاجة لمعرفة تطور ادوار حياتهم . وما عجت به من خير وشر . وعلى العكس من هؤلاء نجد من العظماء من تكون معرفة ادوار حياتهم دروسا ترشد التائه وتوصل الطالب الى حيث يجد النجاح المطلوب والظالة المنشودة لذا كان لا بد لنا من التطلع الى تأريخ حياتهم الشخصية والاطلاع على الاساليب التي سلكوها للرقى نحو مرتبة الكمال .

وشخصية الامام شرف الدين لم تك الا مثالا يحتذي به رواد الإصلاح والعمل . ويسير الناس طبقا لتسلسل اجزاء حياته . وينحنون اعجابا لا ازاء الابداع العقلي في حياته العلمية فحسب بل لذلك النوع من السلوك المركز الذي دفع به نحو مراتب السمو والعظمة .

حياة الامام شرف الدين ، مثال للحياة الزاخرة بالدروس والعظمة ، لذا فمعرفة ادوارها تحدوا بنا الى معرفة دقائقها وتفاصيل شؤونها ، ولتلقني لنا الضوء المجلي على مدى عظمتها في دنيا العلم والتاريخ

x x

ولد (قدس سره) في الكاظمية سنة ١٢٩٠ هـ ابان هجرة والده السيد يوسف شرف الدين (١) في طلب العلم الى العراق ذهب به والده بعد ولادته الى النجف الاشرف . وبعد نشأته قرأ القرآن على الكتاب هناك ثم ذهب الى جبل عامل بصحبة والده عندما رجع من هجرته الى « شحور » ليبلغ رسالة الاسلام ويعكف على التوجيه الديني . بعد ان وجه اليه اهل بلده الطلبات ليستقر بين ظهرائهم . كما هي العادة بين العلماء واهالي جبل عامل .

وفي عاملة استمر على دراسته لدى والده الكريم حتى اكمل دراسة الصرف والنحو والمعاني والبيان والبديع في الادب العربي والفقه . فحصل على الدراسة العلمية الاولى .

اما الناحية الاجتماعية فقد نشأ بظل والديه محبورا بحنانهما وفي كنفهما المريع حتى غدياه المثل الانسانية والعقيدة الاسلامية الحققة وطبعاه على ذلك فاصبح مثال الفرد المسلم . أضاف الى ذلك ما كان لبيته من الذكر المحمود والفضل المشهور والحسنات المشكورة مما مهدت للامام اواصر الزعامة فيما بعد . ورفعت به الى اوج العظمة في النفوس والمجتمعات .

(١) يطالعنا السيد بنسبه في آخر كتابه (كلمة حول الرؤية) ص ١١٥ فيقول : « عبدالحسين بن يوسف بن السيد جواد بن اسماعيل بن محمد بن محمد (١) بن ابراهيم « المقلب بشرف الدين » بن زين العابدين بن علي نور الدين ... الى ابراهيم المرتضى بن الامام الكاظم عليه السلام » .

(١) بمحمد الاول يلتقي نسبه من طرف ابويه ، فان امه زهراء بنت الهادي بن محمد علي بن صالح بن محمد هذا ... الخ .

حياته العلمية

لمس منه والده النضوج والاستعداد الفكري لمتابعة الدراسة العلمية فعزم على ارساله الى العراق لتلقي العلوم العالية في الديار المقدسة .

وفي اليوم التاسع من ربيع الاول سنة ١٢١٠ . اقلع السيد من بلده شحور تصحبه عياله ووالدته واخوه الاصغر السيد شريف . وعندما وصل الكاظمية نزل عند جده لأمه السيد محمد هادي . ولما فاتح جده بالدراسة رجح له الذهاب الى سامراء حيث ان خاله فضيلة (السيد محمد حسين) وابن عمه العجة (السيد اسماعيل الصدر) هما يقطنان - حينئذ - في سامراء . هاجرا اليها مع استاذهما الامام السيد محمد حسن الشيرازي - الذي هاجر من النجف لسامراء لتوطيد عرى الفرقة بين الشيعة والسنة - .

هجرته الى سامراء

نزل السيد عند ارادة جده وخاله وابن عمه فذهب بمن معه الى سامراء وهناك اكب على الدرس والتحصيل مندفعاً بلهيب حب العلم والتعلم فقرأ (الروضة البهية) في شرح اللمعة الدمشقية - في علم الفقه - على الشيخ باقر حيدر . ومباحث الالفاظ من كتاب (الفصول في علم الاصول) على الشيخ حسن الكربلائي . كما ودرس شرح التلخيص (المطول) دراسة شخصية مع زميله في درس الاصول السيد مهدي بن السيد محمد بحر العلوم وكان - قدس سره - ينتجع دروس الاخلاق صبح كل

جمعة في مجلس الشيخ ملا فتح علي السلطان آبادي . اذ كان يجتمع هناك العلماء الاعلام - على حد تعبيره - ينتدون يوم الجمعة مجلسه لينتجعوا حكمته ويردوا شرعته ويصفه شرف الدين فيقول : كان ممن ترمقه الابصار وتمد اليه اعناق المقدسين . . . رقيبا على نفسه في كل حركة وسكون يحاسبها على كل منهما زاهدا في الدنيا راغبا فيما عند الله . . . فاذا افاض بالحكمة تفجرت ينابيعها على لسانه فملك اعنة القلوب ورد شوارد الاهواء وقاد حرون الشهوات وقوم زيغ النفوس . فخفقت الافئدة وخشعت الجوارح خشية . وكان لغدوي الى خدمته واستماعي لحكمته اثر هو ارجى ما ارجوه (١) .

وما ان استقرت معه الامور بالدرس والتحصيل حتى حصلت الفتنة التي اثارها نواصب سامراء وما حولها قبال سند الامة وقائدها الامام السيد محمد حسن الشيرازي - يومذاك - فذهب رحمه الله الى النجف الاشرف .

وانتفض الشعب العراقي والايرواني وغيرهما ووقفت الايرانية ضد هذا العمل . مما جعل الحكومة العثمانية المستولية توجس خيفة اتساع الخرق وتدخل الاستعمار البريطاني الذي كان يتربص الفرص . فسارع العثمانيون واوعزوا الى السلطان عبد الحميد فاوكل امر تأديب المشعوذين الى سفير ايران في بغداد يصنع ما يشاء .

واخيرا هدئت الفتنة . الا ان سيدنا الامام شرف الدين كان قد ترك سامراء وذهب الى النجف وعكف على التحصيل هناك .

(١) عن بغية الراغبين . العرفان . م . ٤٥ ص ٢٨١ .

هجرته الى النجف الاشرف

لما كانت النجف الاشرف مهبط العلم ومهوى افئدة العلماء ومنهل رواد المعارف الاسلامية ونجعة طلاب العلوم والفنون وعاصمة الدين الاسلامي والمذهب الامامي . فقد ارتحل اليها الامام شرف الدين بعد ان رأى ان اواصر الفتنة قد تحكمت وطفى على الدراسة التشويش وعدم الاستقرار .

وهناك في النجف عكف على الدراسة والتدريس مجدا في تحصيل المعارف جادا في الاستفادة والافادة حتى ظهر نضجه ولمع فضله .

لقد اشتغل عند وصوله الى النجف يدرس (المكاسب) في الفقه عند الشيخ باقر حيدر - استاذة في اللمعة بسامراء - ، حيث كان قد سبقه بالمجيء الى النجف . ثم عكف على درس الرسائل في الاصول عند السيد محمد صادق الاصفهاني .

وانهى دراسة السطوح وكان فيها مثالا للطلاب المجد في استجلاء غوامض البحث والفوص على الحقائق والكشف عن المبهمات شأن اولى الرؤيا والنظر الثاقب والغور البعيد .

واكمل مرحلة السطوح العلمية وراح يحضر مع استاذة السيد محمد صادق بحث آية الله (الشيخ محمد كاظم الخراساني) في الاصول . وعكف الى جانب استاذة الشيخ باقر الجواهري على بحث آية الله (الشيخ رضا الهمداني) في الفقه . ثم انضوى الى بحث آية الله (الشيخ محمد طه نجف) في الفقه ايضا . ووقف في الفقه ايضا على بحث آية الله شيخ الشريعة (الشيخ محمد جواد شريعت مدار) في اخير ايامه . ووقف

في الفقه ايضا على آية الله الشيخ عبد الله المازندراني . اما فيما يرجع الى علم الحديث فقد وقف على آية الله (الشيخ حسين النوري) .

كما ودرس دراسات بسيطة - من حيث المدة - على كل من جده لأمه السيد هادي شرف الدين وخاله السيد حسن وآية الله اسماعيل الصدر . يقول (رحمه الله) حضرت دروسهم الفقهية والاصولية في الكاظمية والحائر وكان لي بهم حظوة خاصة (١) .

بقي السيد شرف الدين عاكفا على الاشتغال مجدا في تحصيل المعارف والفصوص عن الحقائق وكشف الغوامض والغور في معضلات المسائل . حتى تم له هدفه وبلغ الدرجة الرفيعة من الاجتهاد واصبح ذو ملكة قدسية راسخة في استنباط الاحكام الشرعية عن ادلتها التفصيلية . فزوده اساتذته بشهادات واجازات الاجتهاد اللائقة بشأنه الرفيع .

ولما استوفى حظه العلمي في الدراسات العالية وبسط باعه في المعارف الاجتماعية المختلفة وصاغ لنفسه ذوقا ادبيا عاليا عن طريق الدراسات الشخصية والميزات النظرية في ناحيتي الفكر والعقل . عزم على العودة الى وطنه جبل عامل موفورا بالعلم ريان الحقائق .

اساتذته ومشائخه

درس الامام شرف الدين على عدد من الاساتذة الفحول من اقطاب العلم وقادة الاسلام . فكان مثال الطالب النشط في تلقيه

(١) العرفان المجلد الخامس والاربعين ص ٤٧٦ .

للدروس وفهمه لمعضلات المسائل وغوامضها . وسنذكر اساتذته
في مرحلة السطوح على وجه من الایجاز :

١ - السيد يوسف شرف الدين : والده الذي كان على مرتبة
عالية من العلم والفضل والشرف فقد درس في النجف الاشرف
حتى بلغ الدرجة الرفيعة ثم هاجر الى بلدته شحور في جبل عامل
سنة ١٢٩٦ هـ وكانت وفاته سنة ١٣٠٠ .

درس الامام عند والده النحو والصرف والمعاني والبيان
والبدیع والفقه درس فيه (نجاة العباد) و (فقه الامامية)
و (شرائع الاسلام) .

٢ - الشيخ باقر حيدر : من ذوي البسطة في الفقه والاصول
اماما في العلوم العربية على غاية من الاعتدال في مفاد الادلة
ومجاري الاصول . في عداد المبرزين (١) . وقد انتقل
الى جوار ربه ودفن في النجف الاشرف في محرم الحرام سنة
١٣٣٣ هـ .

ودرس الامام عليه كتاب شرح اللمعة في الفقه بسامراء
واكثر ابواب كتاب المكاسب في الفقه ايضا بالنجف الاشرف .

٣ - الشيخ حسن الكربلائي : كان من اعلام الفقه واطوار
مشبع القلب في الجدال والمناظرة . وكان هو والامام ميرزا
حسين النائيني كفرسي رهان . غير ان الحسن كان اوسع
صدرا من الحسين . انتقل الى رحمة ربه في الكاظمية سنة
١٣٢٠ هـ .

(١) بغية الراغبين : للامام شرف الدين . نشر بعضها في العرفان م ٤٥
ص ٣٨٠ .

(٢) المصدر السابق ص ٣٨١ .

حضر الامام عنده كتاب الفصول في علم الاصول بسامراء .

٤ - السيد محمد صادق الاصفهاني : كان ممن جمع شتات العلوم والفنون اصولها وفروعها ، وكان من المعروفين في سبر غورها وكشف سرها . تدور على لسانه مطالب المحققين من اعلام المتقدمين والمتأخرين . ولا سيما الشيخ مرتضى الانصاري ومن جاء بعده من اولي الانظار الثاقبة وله بين دلائهم دلو قد ملأه الى عقد الكرب (١) . انتقل الى جوار ربه في النجف الاشرف .

حضر الامام عنده كتاب الرسائل في الاصول بالنجف الاشرف وكان يرجع اليه فيما يستشكل فيه من ابحاث الاصول في الخارج (٢) .

٥ - الشيخ علي بن الشيخ باقر بن صاحب الجواهر : فقيه علامة موغلا في التنقيب وممعنا في التدقيق على اسرار المسائل العلمية (٣) انتقل الى رحمة ربه في النجف الاشرف سنة ١٣٤١ هـ .

درس الامام عنده العبادات من كتاب الرياض ومقدارا قليلا من بقية ابواب المكاسب .

اما اساتذته في الابحاث العالية - الخارج - فنذكرهم طارقين منزلتهم العلمية على وجه الايجاز .

١ - آية الله الشيخ محمد كاظم الخراساني : الاخوند . قال

(١) المصدر السابق ص ٢٨٤ .

(٢) اي درس الخارج وهو المرحلة العالية التي تلي درس السطوح . (ح)

(٣) المصدر السابق ص ٢٨٤ .

فيه الامام شرف الدين : امره في العلوم العقلية والنقلية غني
عن البيان فاني لم أجد ادق منه نظرا ولا اعدل فهما ولا احضر
ذهنا ولا الحن منه حجة . يثبت رأيه بالبيانات القاطعة والعجج
الملزمة مستظهرا بدليل العقل والنقل . انتقل الى جوار ربه في
النجف صبح الثلاثاء الحادي والعشرين من ذي الحجة ١٣٢٩ .

حضر عنده الامام مباهج الاصول . حيث كان شارعا في
تأليف كتاب « الكفاية » . وكان كلما دون منها درسا القاه على
منبره الشريف وحوزته يومئذ تربو على الثلاثمائة من اهل
الفضل والتحقيق (١) .

٢ - آية الله الشيخ محمد طه نجف : كان ممن عندهم مفصل
الصواب وفصل الخطاب . وكان في فقه اهل البيت موسوعة
جامعة وعيلما محيطا تدور الاحكام الشرعية الفرعية بأدلتها
التفصيلية على لسانه . فالفقه بجميع ابوابه في يده . ولعله
يمتاز بهذا عن غيره . انتقل الى رحمة الله ودفن في النجف
في ١٣ شوال سنة ١٣٢٣ هـ .
انظوى الى منبره متلقيا دروس الفقه .

٣ - آية الله الشيخ آغا رضا الاصفهاني : يقول الامام شرف
الدين حضرت عنده وكان يومئذ يؤلف سفره الجليل (مصباح
الفقيه) وهو اعدل المؤلفات في موضوعه وافضلها دقة وحسن
اسلوب فكان ما يكتبه في الليل يلقيه علينا صباحا . وكانت
حوزته كلها من خاصة الفحول في علمي الفقه والاصول (٢)
انتقل الى جوار ربه في سامراء سنة ١٣٢٢ هـ .

(١) بغية الراغبين . الامام شرف الدين . العرفان . م ٤ ص ٣٨٤ . ٤٧٣ .
(٢) المصدر السابق م ٤٥ ص ٤٧٥ .

٤ - آية الله الشيخ محمد جواد شريعت مدار : شيخ الشريعة
الاصفهانى كان اعلا الله مقامه في اعلام (١) الفقه والاصول
فسيح الخطوة في المعقول والمنقول غزير المادة فيما يؤثر عن اهل
بيت العصمة واسع الرواية . كانت له حوزة تربوا على المأتين
من كل مرهف للعلم طبعه باذل فيه وسعه (٢) . وقف الامام عليه
ابحاث الفقه . وقد قبضه الله الى رحمة ربه في النجف سنة
١٣٣٩ .

٥ - آية الله الشيخ عبد الله المازندراني : كان احد الاعلام
من شيوخ الاسلام في تلك الايام . بحر لا يسبر غوره ولا ينال
دركه وكانت حوزته تربو على المأتين من اهل الفضل فيهم
الجاد في طلب العلم النافذ الهمة في ان يلتهمه التهاما ، الموقظ
جنانه في البحث عن غوامضه ودقائقه لا يسأم ولا يفتر (٣) .
حضر الامام دروسه في ابحاث الفقه في اواخر ايامه
بالنجف . توفي في النجف سنة ١٣٣٠ .

٦ - آية الله الشيخ حسين النوري : صاحب مستدرك وسائل
الشيعة . كان اعلا الله مقامه من حملة السنن النبوية وحفظه
الآثار المقدسة . وكان في علمي الفقه والاصول في ذروة سامية
ذا ملكة قدسية راسخة تبدأ فيها منازل الفقهاء المسلمين (٤) .
حضر الامام عنده دروس علم الحديث والرجال .
انتقل الى رحمة ربه في النجف الاشرف ليلة الاربعاء السابع
عشر من جمادي الاولى سنة ١٣٢٠ هـ .

-
- (١) الافضل ان يقال « ميدان » (ح) .
 - (٢) المصدر السابق م ٤٥ ص ٤٧٥ .
 - (٣) المصدر السابق م ٤٥ ص ٤٧٥ .
 - (٤) المصدر السابق م ٤٥ ص ٤٧٥ .

مشائخه في الرواية

اما شيوخه من الامامية في الرواية فقد حدثنا عن خمسة منهم على سبيل الایجاز .

الاول : والده العلامة الثقة السيد يوسف شرف الدين . فقد اجازه في الرواية عن جميع مشائخه . واجلبهم الامام محمد حسين الكاظمي والامام ميرزا حبيب الله الرشتي (١) .

الثاني : - خاله الاورع الابن الاتقي الامام ابو محمد الحسن ابن السيد هادي شرف الدين فقد اجازه اجازة عامة يروي بها جميع ما يرويه عن مشائخه الاعلام الذين شرح حالهم في كتابه (بغية الدعاة في طبقات مشائخ الاجازات) (٢) .

الثالث : - صاحب مباني الاصول المحقق المتبحر الميرزا محمد هاشم ابن السيد زين العابدين الموسوي الاصفهاني . اجتمع شرف الدين معه يوم زار الاصفهاني النجف سنة ١٣١٨ هـ فاجاز له الرواية عنه وعن مشائخه (٣) .

الرابع : - ثقة الاسلام العلامة ميرزا حسن النوري . اجازة في الرواية عن مشائخه بالطرق التي ذكرها على سبيل التفصيل في خاتمة كتابه مستدرک الوسائل (٤) .

الخامس : - الامام الشيخ فتح الله المعروف بشيخ الشريعة الاصفهاني . اجازه في الرواية عن مشائخه الكرام (٥) .

(١) ثبت الاثبات في سلسلة الرواة . السيد عبد الحسين شرف الدين ص ٢

(٢) المصدر السابق ص ٤

(٣) المصدر السابق ص ٥ .

(٤) المصدر السابق ص ٥ .

(٥) المصدر السابق ص ٥ .

مشائخه من الزيدية

اما مشائخه من الزيدية : فقد ذكر لنا منهم العلامة الثقة الشيخ عبد الواسع اليميني الصفاني الزيدي . اذ اجتمع في دمشق سنة ١٣٣٨ فاجاز له بالرواية بطرقه كلها (١) .

مشائخه من اهل السنة

اما مشائخه من اهل السنة : فقد حدثنا عن خمسة منهم فقط .

الاول : الشيخ سليم البشري المالكي . شيخ الازهر . التقى به سنة ١٣٢٩ . وكان نتيجة هذا اللقاء كتابه (المراجعات) . اجازه اجازة عامة مفصلة قد اشتملت على جميع اسانيده وطرقه المتصلة بجميع كتب اهل السنة نقلية وعقلية . وبمصنفاتها من المتقدمين والمتأخرين (٢) .

الثاني : الامام الفقيه الشيخ بدر الدين الدمشقي . التقى به بدمشق سنة ١٣٣٨ . اجازه بالمعقول والمنقول من فروع واصول وغيرهما (٣) .

الثالث : العلامة الكبير الشيخ محمد بن عبد الله الخاني النقشبندي الشافعي . لقيه في بيروت ودمشق واجازه بما تجوز له وعنه روايته من فقه وحديث وتفسير وغير ذلك كما اجازه مشائخه (٤) .

-
- (١) المصدر السابق ص ٧ .
 - (٢) المصدر السابق ص ٨ .
 - (٣) المصدر السابق ص ٩ .
 - (٤) المصدر السابق ص ١١ .

الرابع : علم الاعلام الشيخ محمد المعروف بالشيخ توفيق
الايبوبي الانصاري الدمشقي . التقى به في صور ودمشق
واجازه عن شيوخه الكرام (١) .

الخامس : الشيخ محمد عبد الحي بن الشيخ عبد الكريم
الكتاني الفاسي الادريسي التقى معه في مصر واجاز له
في رواية صحيح البخاري عنه عن طريق المعمرين (٢) .

مستجيزوه في الرواية

اما مستجيزوه في الرواية فالذي نعرفه منهم ثلاثة أو
اربعة : -

الاول : العلامة الحجة السيد علي النقوي الهندي اللكنهوي .

الثاني : الامام الشيخ راضي آل ياسين .

الثالث : آية الله الشيخ مرتضى آل ياسين .

الرابع : المؤرخ الشهير آية الله الشيخ محمد محسن المعروف
بأغا بزرگ الطهراني .

منزلته العلمية

خاض الامام شرف الدين عباب العلم وغار في حقائقه ، حتى
ظهر نضجه ولمع فضله في دورات البحث ومجالس المذاكرة
والتحصيل ، فاعترف الفضلاء بفضله وزوده المراجع العظام

(١) المصدر السابق ص ١٢

(٢) المصدر السابق ص ١٣

والعلماء الاعلام باجازاتهم المباركة الميمونة التي لا ينال امثالها
الا ذو حظ عظيم .

لقد اجيز الامام شرف الدين . ولكن باختيار مباشر برهن
على العظمة والتقدم في دنيا العلم والمعرفة . فحاز تلك
الاجازات الضخمة في دنيا العلم . ولعل من الخير ان نعرض لك
تلك الاجازات بنصها لنكشف لك واقع عظمتة فنقول .

اولا : اجازة الامام الشيخ آقارضا الهمداني المؤرخة في
ثامن عشر ذي الحجة سنة ١٣٢٠ جاء فيها :

« وبعد فان الواجب على عامة المؤمنين والمؤمنات في هذه
الفترة - زمن الغيبة - ان يرجعوا في الاحكام الشرعية الى رأي
الاحياء من اعلام الامامية الجامعين للشرائط المعتمدة في الافتاء
والقضاء عندهم من الاجتهاد والعدالة وغيرهما . وان من الطبقة
العليا ولدنا الابر التقي النقي الثقة العدل الامين على شؤون
الدنيا والدين السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي العاملي
جمع الله به الكلمة ورفع بجهوده شأن الامة . فقد اشتهر في
فضله وبهر في نبلة وعلت منزلته في الدين والعلم فقها واصولا
وما الى ذلك من علوم وفنون . فهو ذو ملكة راسخة قدسية في
استنباط الاحكام . ويجب عليهم تنفيذ حكمه في المرافعات
وفصل الخصام . فانه من العلماء المحققين والفقهاء المجتهدين
الذين اشار اليهم الامام الصادق عليه السلام في حديثه مع عمر
بن حنظلة . وقد سأل عن رجلين من اصحابنا يكون بينهما منازعة
في دين او ميراث كيف يصنعان ؟ قال عليهم السلام : « انظروا
الى من كان منكم قد روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا
وعرف احكامنا، فارضوا به حاكما فاني قد جعلته عليكم حاكما .

فاذا حكم بحكمنا فلم يقبل منه فانما بحكم الله استخف وعلينا رد . والراد علينا راد على الله وهو على حد الشرك بالله عز وجل « ونحوه حديثه عليه السلام مع ابي خديجة المشهور ، واوصى السيد بلزوم جادة التقوى . والله تعالى هو الموفق فاياه نعبد واياه نستعين » .

ثانيا : اجازة الامام الشيخ محمد كاظم الخراساني المؤرخة
تاسع ربيع الاول سنة ١٣٢١ هـ جاء فيها : -

« اما بعد فان الله سبحانه كرم بني آدم وفضلهم على كافة العالم ومن عليهم بالتكليف واسعدهم بخطابه الشريف وبعث فيهم النبيين مبشرين ومنذرين وآثرنا بافضل انبيائه والوسيلة لاهل ارضه وسمائه . فشرع لنا الدين القويم وهدانا الى الصراط المستقيم ثم اختاره الله اليه بعد ان نصب لأمته علما تعتمد عليه . أقامه مقامه ونص عليه مرارا بالخلافة والامامة وفرض طاعته وأبأن عصمته وجعل له في العالمين منزلته فالحمد لله على اكمال الدين بذلك واتمام النعمة بما هنالك .

ثم لم تزل الامامة من بعده في المعصومين الذين نص عليهم رسول الله صلى عليه واله من ولده حتى انتهت الى خاتم الاوصياء ومن بوجوده ثبتت الارض والسماء فاختر له الغيبة لحكم تطمئن اليها قلوب المؤمنين . فالحمد لله رب العالمين اذ لم تكن من اهل الريب وكنا ممن يؤمن بالغيب . وقد اوجب علينا ان نرجع في أيام غيبته في الاحكام الى رأي العلماء الاعلام . فانهم نوابه وسفرائه وحججه وامناؤه .

وان سيادة السيد السند والثقة الفقيه المجتهد المنزه عن كل شين السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي شد الله اركانه

واعطاءه يوم القيامة أمانه • مجتهد مطلق وعدل موثق قد أصبح
من اهل الذكر الذين ترجع اليهم العباد وترقى من حضيض
التقليد الى أوج الاجتهاد • فخفقت ألوية النيابة عليه وألقت
بازمتها اليه وحرم عليه التقليد ووجب عليه العمل برأيه
السديد • فليمتثل المؤمنون أمره ونهيه وليرجعوا اليه • فانه
حجة عليهم قاضية فيهم حكومته ونافذ قضائه ويحرم الرد عليه
فان الراد عليه راد على الله وهو على حد الشرك بالله عز وجل •
والمأمول منه ان يسلك جادة الاحتياط فانه سبيل النجاة • والله
الموفق وهو حسبنا ونعم الوكيل » •

ثالثا : اجازة آية الله شيخ الشريعة الاصفهاني • المؤرخة
رابع شهر محرم سنة ١٣٢١ هـ جاء فيها :

« وقد أيد الله هذا الدين المتين بالعلماء وجعلهم ورثة
الانبياء وفضل نومهم على عمل الصالحاء » الى أن قال « وان من
هذه الروضة المرضية المخضرة الاطراف ، والدوحة البهية
الزاهرة الاكناف غصن شجرة السيادة ونور حدقة السعادة
صاحب الذهن الوقاد والطبع النقاد والقريحة القوية والسليقة
المستقيمة • السالك اوضح المسالك في استنباط الفروع من
المدارك • العالم العامل • البهي التقى المبرأ من كل شين السيد
عبد الحسين شرف الدين الموسوي العاملي ايده الله بلطفه
الخفي والجللي • ابن علم الاعلام وملاذ الانام ومرجع الخواص
والعوام سيدنا السيد يوسف شرف الدين صانه الله تعالى عما
يوجب التأسف والتلهف • فانه هاجر عن وطنه ونفر عن مسكنه
وبعد عن الاتراب والاقربان وشطت به الديار والسكان فحضر
على ثلة من العلماء الاعيان وعلى هذا الضعيف مدة من الزمان •

فلم يقنع من السماع الا الى التحقيق ومن النظر الا الى التحديق .
وجد واجتهد في طلب المعالي ووصل يقظة الايام باحياء
الليالي . وناظر ونوظر وراجع وروجع حتى فاق الامثال
والاقران وصار مشارا اليه بالبنان بصيرا بمعضلات المسائل
الفقهية ومشكلات المطالب الاصلية والفرعية . وتكلم معي
مرارا بما يكشف عن كون نظيره نزيرا . واختبرته ببعض
مقفلات المسائل فوجدته بطرق فتحها وحلها خبيرا . فحق لي أن
أقول انه قد ترقى من حضيض التقليد الى أوج الاجتهاد . وصار
من أهل الذكر الذين يرجع اليهم العباد فيم يتعلق بالمعاش
والمعاد . فليحمد الله تعالى على ما آتاه من النعم الجليلة والالاء
الجميلة » .

رابعا: اجازة شيخ الطائفة في عصره الشيخ محمد طه نجف .
المؤرخة مستهل شهر المحرم سنة ١٣٢٢ هـ جاء فيها : —

« وبعد فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه
قال : « يحمل هذا العلم كل من خلف عدوله ينفون عنه تحريف
الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين » وان من عدول هذا
الخلف لينفي عنه تحريف الغالي وانتحال المبطل وتأويل الجاهل،
وهو قوي على ذلك بعلمه وفهمه وحكمته لولدنا البر الثقة العدل
الورع الهمام المقدام الفقيه الاصولي المحقق المدقق البحاث
القوي في حجته الصدوق في لهجته المعتدل في اسلوبه وطريقته
المتفاني في النصيح لله ولكتابه ولأئمة المسلمين ولعامتهم .
الباذل نفسه في خدمة الشريعة المقدسة : شريعة سيد المرسلين .
والمجاهد في سبيل احياء أمر العترة الطاهرة آبائه الميامين السيد
عبد الحسين شرف الدين الموسوي العاملي . اعز الله به الاسلام

وأهله • فانه من اعلام الهدى ومصابيح التقى • بلوته فوجدته
ذا ملكة قدسية في استنباط الاحكام الشرعية الفرعية عن
ادلها التفصيلية • فاذا هو مصداق الرجل الذي عناه الامام ابو
عبد الله الصادق عليه السلام بقوله « انظروا الى رجل منكم قد
روى حديثنا وعرف احكامنا فاجعلوه قاضيا فاني قد جعلته
قاضيا • فتحاكموا اليه » • وفي حديث آخر عنه عليه السلام
« فارضوا به حاكما فاني قد جعلته حاكما فاذا حكم بحكمنا فلم
يقبل منه فانما بحكم الله استخف وعلينا رد والراد علينا راد
على الله وهو على حد الشرك بالله عز وجل » •

فعلى المؤمنين أن يرجعوا اليه في الفتوى وفصل القضاء فان
حكمه الفصل وقضاؤه العدل لا يسع المؤمن الا انفاذه والرجوع
له • وليهتد المؤمنون يهديه وليكونوا عند امره ونهيه ، والمرجو
منه الا يترك الاحتياط ولا ينسانا من الدعاء ولا سيما في مظان
الاجابة • أيد الله به الدين وجمع به على الحق كلمة المسلمين ،
انه أرحم الراحمين •

خامسا : اجازة آية الله الشيخ عبد الله المازندراني المؤرخة
سلك صفر سنة ١٣٢٢ • جاء فيها :

« أما بعد فان جناب السيد السند والكهف المعتمد عماد الملة
والدين ثقة الاسلام والمسلمين السيد عبد الحسين نجل السيد
الاجل السيد يوسف شرف الدين العاملي • مجتهد مطلق في
الاحكام الشرعية جامع لشرائط الافتاء والقضاء • من الاجتهاد
والعدالة وغيرها • يجب عليه ان يعمل بما يراه ويحرم عليه ان
يرجع في احكام الدين الى مجتهد سواه ، ويجوز للموالم ان يقلدوه
في المسألة التي لا يعلم انه مخالف فيها لمن هو اعلم منه • ولهم

ان يترافعوا اليه فانه نافذ الحكم ممضى القضاء ، والراد عليه
راد على الله تعالى . وفقنا الله واياه لخدمة الدين وسلوك جادة
العلماء العاملين انه ارحم الراحمين » .

سادسا : رسالة الامام السيد اسماعيل الصدر التي بعث بها
الى أهالي صور - بعد أن حل المقدس شرف الدين بين
ظهرانهم - . حيث ضمنها رأيه بالامام شرف الدين . واليك
موضع الحاجة منه : -

« اما بعد : فقد سرنا قيامكم بواجب الوظائف من خدمة
السيد السند والثقة الفقيه المعتمد قدوة العلماء الفاضلين
وأسوة الفقهاء المبرزين الاوثق لدينا والاعز علينا السيد السيد
عبد الحسين شرف الدين رفع الله مناره . فذكرناكم وشكرناكم
وحمدا لله تعالى على ما اولاكم من الاخذ بحظكم من خدمته
والفوز بنصيبكم من رشدته وهدايته . هداكم الله الى سواء
السييل ودحض بشريف وجوده عنكم الابطال . ومنحكم به
الهناء والسرور والسعادة والغبطة والحبور . فاهتدوا بهديه
واعتمدوا على رأيه واعرفوا عظيم قدره وكونوا نصب نبيه
وامره فانه لا يأمركم الا بمعروف ولا ينهاكم الا عن منكر
وارجعوا اليه في احكام الدين واتخذوه واسطة بينكم وبين رب
العالمين . فانه الحجة عليكم والفعة لديكم . واجعلوا قوله
فصلا فانكم لا ترون منه الا عدلا . امضوا حيث يمضي واذعنوا
حيث يقضي وتعبدوا باقواله . واقتدوا بافعاله . واستضيئوا
بنور علمه . فانه من زيتونه لا شرقية ولا غربية . مرجع عام
ومفزع في فتاوى الاحكام . وقد سرنا مكانه في صور لانا لا
نعلم من يصلح ان يكون لدى الاجانب عنوانا لعلماء الامامية

مثله في عمله وفضله وعقله وعدله وسعة باعه ووقور اطلاعه وجودة ذهنه وحسن استحضاره وشدة حذقه وبراهينه القاطعة وحجته الساطعة واجوبته المسبكتة وخطابته البليغة وتقواه وسداده وهداه ورشاده وعفته وابائه وكرم اخلاقه وسياسته وتوكله على الله وخبرته بنهج الأئمة عليهم السلام . وانا لنغبطكم عليه ونتمنى دوام القرب اليه . فاسمعوا له واطيعوا وارجعوا اليه في احكام الله عزوجل والراد عليه كالراد عليه عز سلطانه . فاعرفوا قدره واستعظمو امره . وأوصيه ونفسي واياكم بتقوى الله تعالى وسلوك جادة الاحتياط فانها طريق النجاة ولا تنسونا من دعاكم وفقكم الله ورعاكم . والسلام على جنابه - ايده الله تعالى - وعليكم وفقكم الله تعالى ورحمة الله وبركاته » .

من هذه الاجازات التي عبر فيها العظماء عن عظمتهم والعلماء عن منزلته تبرز لنا واضحة الدرجة التي تمثلت في سماحته من حيث العلم وثقة العلماء فيه . وبالتالي منزلته بين اهل العلم كافة .

الحياة العلمية في عصره بقلمه

لقد كان في ذلك العهد وما قبله للعلوم الاسلامية وما اليها من المعارف والفنون سلطان مشيد الاركان رفيع البنيان ، وكانت له دولة بعيدة الاثر في الحياة العامة ، يرجو بها الناس خير الدنيا والاخرة ويتوسلون باسبابها الى كل فوز وفلاح ، فيلوذون الى ذراها ويعتصمون بعراها ويتولون اوليائها منصرفين اليهم عن سواهم ، غير آبهين في المهمات كلها بمن عداهم مسوقين

الى طاعتهم بدافع من العقيدة وحافز من الثقة والاطمئنان .
فاذا خضعت الامم للدول السياسية ونجعت لاحكامها خشيت
البطش وحذر القوة فان الامة الاسلامية كانت يومئذ خاشعة
لدولة العلم والدين نزولا على حكم الايمان ، اذ ان دولة العلم
بالاحكام الالهية ليست غير دولة الله تعالى سلطانه ، تصدع
باحكامه وتشرح قواعده التي عليها المدار في الحياة الدنيا
والآخرة .

فمن هنا كانت الدولة العلمية يومئذ بمثابة تعنوا لها الجباة،
وتملأ الصدور هيبة واجلالا وارفة الغلال مبسوطة الافناء .
ومن هنا كانت عواصمها مثابة للناس وامنا ينفر اليها من
كل فرقة طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا
اليهم لعلهم يحذرون - ياتونها - رجالا وعلى كل ضامر ياتين من
كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم - .

ومن هنا كانت العلوم الدينية وما اليها من المقدمات والمبادئ
غاية من اسمى الغايات ، يعتز بها الطالب في ذاته ويعتز به
اهله وسائر من اليه وفي ذلك من التشجيع ما يشتد به الاقبال
وتشد به الرحال .

وبهذا احتشدت الجامعات العلمية وغصت معاهدا بامم من
الطلاب تختلف اشكالهم ولغاتهم وألوانهم لكن مبادئهم واغراضهم
متحدة في التوفر على تلك الثقافة العالية التي رفعت دنيانا
واخلصت نوايانا فوجدنا على نورها سبل الحياة واضحة مأمونة
الغار دهرنا ليس بالقصير .

واي ارهاف في العالم تراه عليه اعظم من هذه العناية

تستأثر بمظاهر الثقة وتستقل بنواحي الرضا وتملك هوى
الامة الاسلامية كلها ، فيتشوق الناس دائما الى الحوزة العلمية
ويشغلهم دائما حديث زعمائها وطلابها وتسكرهم دائما سلافة
فضلها وآدابها فيتواصلون بهم متنافسين في ولائهم والانقياد
لهم متحاضين على ذلك . فكان لهذا اثره في تدافع الطلاب الى
خوض عباب العلم والغوص على اسراره وكانت له لوازمه من
استخراج مخبآت العلوم وتمحيص حقائقها .

وان من الحق ان نسجل الواقع في هذه المظاهر ونذيع السر
في هذه الظواهر فانا اذا رأينا اقبالا من طلبة العلم على
استساغته والتهامه ورأينا من الناس عليهم بكل ما يمدهم من
علوم . ورأينا ظاهرا من التساند بين هاتين الظاهرتين فانا
نرى الى ذلك سرا اكبر من هذا السر قد ابتنى عليه الاندفاع العلمي
وتم به الامر له الا وهو الاخلاص الذي كان يحدوا طرفي الاقبال
المشترك بين اهل العلم وبيئاتهم المؤمنة فقد كانا متوازيين في
سبيل هذه العاقبة المباركة التي اخضبت فيها العلم واثري ،
واصدر من خصبه وثرائه للدنيا الاسلامية من العلماء الاعلام
ومن الآثار الخالدة والجهود المباركة ومن الافكار والابتكار ما لا
يدرك شأوه ولا تلحق آثاره .

ولعل هذا الانتاج الفوار الغزير يصلح شاهدا على الاخلاص
فيما يطلبه ذوو العلم وفيما يرهفه فيه الوسط المؤمن فان هذه
البركة في الانتاج وحسن العاقبة لا تصدر الا عن الاخلاص
وحسن النية ومما يدل على هذا ان وفرة في العلماء الاعلام
كهذه الوفرة في طبقة واحدة وفي مرفق واحد من مرافق الحياة
تدعوا الى التزامهم على الزعامة والتدافع والخصام اذ ليس من

المعقول ان تظفر هذه الكثرة بمركز الزعامة في آن واحد بل لا بد من انتخاب فرد من ذلك الجمع الغفير ليقوم باعبائها فلولا الاخلاص لكانت ثمة معارك يستشري فيها النزاع ويستكلب في معوماتها الصراع كما هو الشأن فيما نشاهده في ميادين الحياة . ولكن الوسط الروحي المهيمن على الابصار والبصائر وعلى اللسنة والايدي وعلى القلوب والالباب كان يرتفع في ذويه عن هذه المهاوي المادية السحيقة ويتعالى بهم عن هذه المآسي الشهوية الموبوءة وليس شيء ادل من هذا على كون الانتخاب طبيعيا يختار من كان اقوى على المصلحة وانهض بالعبء وادنى الى الكفاية الجامعة لشروط الفضل والبر والتقوى وصدق النظر لان الغرض المهم ان تسير السفينة وان تحكم الدفة يد صنّاع ونظر صحيح قمين بمعرفة المصالح الاجتماعية على ضوء الحقائق الدينية فاذا اختار هذا الانتخاب العادل ، فردا من ذلك المجموع الصالح كله للقيادة اذعن الجميع راضين محبورين لا تجد واحد منهم حسدا ولا حرجا وانما تجد اغطباطا وسرورا والتفافا حوله بالتأييد والتسديد ومؤازرته بالرأي والنصح .

ولعلك لا تجد في نفس المختار اقبالا أو رضى لما صار اليه بل لعلك تجد في نفسه انقباضا اول الامر ايثارا للعزلة ولان يتقدمه اخ من اخوانه يضطلع بالمسؤولية التي يخشاها ويخاف تبعاتها ويشفق ان لا يكون قويا في اداء بلاغ مركزه المرجو لحياة امة تلتمس تراجع حيال الحياة في افواه علمائها وصدورهم واثارهم .

هذا شاهد لا اصدق منه على ان القوم مؤمنون حقا يتغلغل

الاخلاص في اعناق نفوسهم فيبلغ الى قراراتها فيتجافى بهم عن الشره والاستكلاب ويتنائى عن الشك والارتياب ويعرج الى سموات الواقع والصدق والفضيلة فيتشرفون من الزعامة مركز المصلحة لا مصلحة المركز ويستقبلون قيادة الكرسي لا كرسي القيادة .

وهذا هو السر الذي ادعيناه للنهضة العلمية وبنينا عليه تلك الوثبات الى الخير والصلاح ولا ننكر ان روحية الوسط ساعدت هذا السر مساعدة كبرى وان مظاهر التشجيع والطاعة والانقياد اسهمت في كل ذلك بحظ غير يسير فكان من مجموع ذلك ما قلناه من اخصاب التربة وسداد الوثبة ونماء الفرس (١) .

نشاطه في حقل التأليف

كان اعلى الله مقامه من اولئك الافذاذ ، الذين خدموا العلم والدين والتاريخ ، بتحقيقاتهم السديدة في عالم التأليف . فمنذ ان استوفى حظه من الثقافة الاسلامية العالية، وصاغ لنفسه ذوقا ادبيا رفيعا ، وسليقة انشائية ، مطبوعة على حسن الاداء ، وقوة الذهن وسعة البيان . . اخذ في اتحاف المكتبة الاسلامية والعربية ، بكتبه النفسية ذات الاثر البالغ ، في حقل الدين والثقافة والتاريخ . ولقد كان ان انتج لنا مكتبة ثمينة في عالم التأليف في مقتبل حياته . الا ان جور الاستعمار الفرنسي الغاشم عندما اراد الاعتداء على سماحته وخطاه الحظ ، اعتدى على داره وامواله وعلى مكتبته الثمينة - وكان بظلمتها تسعة

(١) بغية الراغبين نشر جزء قليل منه في العرفان المجلد ٤٥ الصفحة ٤٧٩ .

عشر مؤلفا خطيا له - فالهبت النار بكل ما فيها من نفائس الكتب لكن السيد عندما استقرت به الديار ، عاد على عادته يخلو الى مكتبته كل يوم شطر من الزمن - على كثرة المشاكل الاجتماعية التي كانت تحفه - ، فاشتغل بالكتابة والتأليف من جديد ، حتى اتحفنا بانتاجه الغزير ، المتحلي بالاصالة، والعمق، والاستيعاب ، وعذوبة اللفظ ، وترف التعبير ، بحيث يجعلك وانت تقرأ البحث العلمي وكأنك تقرأ فصلا ادبيا رائعا . كل هذا يدل على ملكته الخصبة وبطولته الفكرية .

واليك هذا العرض العابر لآثاره عليه الرحمة :

١ - المراجعات :

مجموعة من الرسائل تبودلت مضامينها بين الامام شرف الدين . وبين شيخ الجامع الازهر ورئيس المجلس الاسلامي الاعلى في مصر الشيخ سليم البشري المالكي ، وكان القصد منها كشف القناع عن مسألة الامامة عند المذهب الشيعي الامامي اصولا ، وفروعا ، وتحقيق حكم الخلافة (١) عن الرسول الاعظم - صلى الله عليه وآله وسلم - وايضاح مسائل عقائدية اخرى كانت وما تزال مثار جدل ونقاش بين الشيعة والسنة . فجاءت فلسفة معتدلة كل الاعتدال مؤيدة بالعقل السليم والنقل الصحيح عند الفريقين - السنة والشيعة - وحلت مشكلة الامامة حلا برهانيا سهلا مقنعا دعا الى توحيد كلمة المسلمين ورفع الخصومة فيما بينهم وقد كان لهذا الكتاب وقع كبير في

(١) كما جاء على لسان الشيخ سليم في مراجعته الاولى ص ٧ من كتاب المراجعات .

قلوب المسلمين أخذ بمشاعرهم وأنار لهم الطريق ، وجذب
الآلوف من المتحرفين الى حظيرة الحق وواقع الاسلام .

ولعل أكبر دليل على عظم منزلة الكتاب في عالم المعرفة
اقبال المسلمين على الكتاب بشكل قليل النظير . حتى ترجم الى
عدد من اللغات الشرقية والغربية ، واعيد طبعه باللغة العربية
عدة مرات على الشكل التالي : -

فقد طبع الكتاب « للمرة الاولى » : في مطبعة العرفان بصيدا
سنة ١٣٥٥ هـ كمل في (٣١٢) صفحة بقطع النصف على
ورق ابيض .

وطبع « للمرة الثانية » : في مطبعة الساعة ببغداد سنة
١٣٦٥ هـ كمل في (٣٦٥) صفحة بقطع الثلث ، وقد اضيف
له هذه المرة مقدمة تحت عنوان حياة المؤلف بقلم الشيخ مرتضى
آل ياسين كملت في (١٢) صفحة .

وطبع « للمرة الثالثة » : في مطبعة العرفان بصيدا سنة
١٣٧٣ هـ كمل في (٣٤٠) صفحة بقطع النصف على ورق
أسمر .

وطبع « للمرة الرابعة » : في مطبعة الساحل الجنوبي
ببيروت سنة ١٣٧٧ هـ كمل في (٣٤٦) صفحة بقطع النصف
على ورق أسمر .

وقد ترجم الكتاب الى اللغة (الفارسية) تحت عنوان
المنظرات في المراجعات بقلم العلامة المقدس سردار حيدر
قولي الكابلي نزيل كرمانشاه ، وطبع في مطبعة رنكين باصفهان
سنة ١٣٦٥ هـ كمل في (٤٩٣) صفحة بقطع الثلث على ورق

ابيض • وقد وضع له تحت اسم رمزي (غ) ديباجة تضمنت حياة المؤلف والمترجم - بايجاز - كملت في (١٦) صفحة •

كما ترجم للمرة الثانية (١) الى اللغة الفارسية بقلم العلامة الشيخ ابو الفضل النجم آبادي نزيل طهران •

وحدثني احد الطلاب الباكستانيين الفضلاء - الاستاذ السيد علي النقوي - • ان كتاب المراجعات ترجم الى اللغة (الاوردية) بقلم العلامة السيد محمد باقر كجوابها ، ترجمة عالية جدا • وقد طبع ببكستان سنة ١٣٧٠ هـ - تقريبا - فيما يقرب من (٥٠٠) صفحة بقطع النصف • وقد كانت عنده مدة من الزمن في يوم ما •

كما وترجم الكتاب الى اللغة (الانكليزية) في باكستان سنة ١٣٢٢ هـ فيما يقرب من (٦٠٠) صفحة بقطع النصف وقد شاهدها في باكستان - ثم قال - وهذه على غاية من الجودة والاتقان في الترجمة • الى ان قال :

لقد وردتني رسالة من العلامة حاج محمد لطيف انصاري الباكستاني رئيس المؤسسة الامامية في باكستان ، قال فيها : لقد عزمت المؤسسة على ترجمة كافة كتب السيد عبد الحسين شرف الدين الى اللغة الانكليزية والاوردية على ان يتم ذلك في خمس سنوات - انشاء الله - حقق الله الآمال • والذين جاهدوا فينا لنهديهم سبلنا •

وقد جرى حديث لمدير مكتبة الامير في النجف - الشيخ رضا الاميني - مع العلامة الانصاري عندما ورد النجف قبيل

(١) اشار الى ذكر هذه الترجمة ناشر الطبعة الثانية للغة العربية في اولها •

عام • فهم منه ان المؤسسة قد شرعت - على اكبر الظن - في ترجمة ابي هريرة الى اللغة الاوردية وهي مستمرة في عملها •
اقول : وقد شاهدت بنفسي - في مكتبة الحكيم بالنجف - ترجمة جزء من المراجعات باللغة الانكليزية للاستاذ محمد امير حيدر خان طبع في الهند سنة ١٩٦٠ م كمل في (٦٢) صفحة حزن بين دفتيه اثنا عشر مراجعة من اول الكتاب •

٢ - الفصول المهمة : في تأليف الامة :

بحث فيه - قده - عدة مسائل خلافية بين السنة والشيعة مما يتعلق باصول الدين وفروعه وحقائق التاريخ الاسلامي • عن طريق العقل والنقل والاستنتاج ، والتحليل • فجاء درة ثمينة في بابه يظهر القارئ على جميع جوانب المسائل التي يبحثها الكتاب •

ولذلك فقد توافد الناس على اقتنائه ، مما استدعى اعادة طبعه عدة مرات على الشكل التالي :

فقد طبع « للمرة الاولى » : في صيدا بمطبعة العرفان سنة ١٣٢٠ هـ كمل في (٢٢٤) صفحة بقطع الربع •

وطبع « للمرة الثانية » : في مطبعة العرفان سنة ١٣٤٧ هـ كمل في (١٩٢) صفحة بقطع النصف ••

تميزت هذه الطبعة عن سابقتها باضافة فصلين احدهما (السابع) - في الرد على ابن حجر في صواعقه ، كما بحث فيه معنى الشيعة - والفصل الثاني هو (الفصل العادي عشر) - في الرد على نواصب العصر كما ضمنه ردا وافيا على الاستاذ

الرافعي - هذا ٠٠ الى جانب زيادات مهمة في بطون الحواشي ،
وكثير من الفصول والابحاث .

وقد طبع « للمرة الثالثة » : في مطبعة النجف بالنجف الاشرف
سنة ١٣٧٥ هـ كمل في (٢٠٠) صفحة بقطع النصف على ورق
أبيض باجازة من المؤلف .

٣ - الكلمة الغراء في تفضيل الزهراء :

اثبت المترجم فيه تفضيل الزهراء على غيرها من باقي
النساء عن طريق الآيات الواردة في فضل اهل البيت، والروايات
الواردة في حقهم . وقد تكرر طبعه تبعا لتتابع طلبات الناس له
وتوافدهم عليه : -

فقد طبع « للمرة الاولى » : في مطبعة العرفان بصيدا سنة
١٣٤٧ هـ كمل في (٤٠) صفحة بقطع النصف . جاء منضا
الى الفصول المهمة في طبعتها الثانية .

وطبع « للمرة الثانية » : - مع الفصول المهمة - أيضا - في
طبعتها الثالثة - في مطبعة النجف الاشرف سنة ١٣٧٥ هـ كمل
في (٥٤) صفحة بقطع النصف .

٤ - ابو هريرة :

بحث السيد فيه حياته وعصره والظروف المحيطة بحياته
ونوعية علاقاته . وعناية العلماء باحاديثه في صحاحهم الست
وحقق في شكلية رواياته وما تنم اليه بظاهرها وباطنها من
الصحة والبطلان والصدق والكذب . كل ذلك جاء فيه عرضا

مبسّطا وتحقيقا دقيقا على ضوء من العلم ، والعقل والتاريخ ،
باسلوب تحليلي جديد . حتى كان من أجّل الكتب واعظمها اثرا
في نقد كتب الحديث عند السنة . وحكيت ترجمته للغة الفارسية
والاوردية .

فقد طبع « لاول مرة » : في مطبعة العرفان بصيدا
سنة ١٣٦٥ هـ كمل في (٣٢٢) صفحة بالقطع الوسط على ورق
أبيض .

وطبع « للمرة الثانية » : في المطبعة الحيدرية بالنجف الاشرف
سنة ١٣٧٥ هـ كمل في (٢٧٥) صفحة بالقطع الوسط . كان
عدد منه على ورق أبيض وعدد آخر على ورق أسمر .

٥ - النص والاجتهاد :

درس المترجم فيه فتاوى واحكاما صدرت من كبار الصحابة على
عهد رسول الله (ص) وبعده مثبتا مخالفتها لصريح الكتاب والسنة
وعدم اعتماد اكثرها على دليل علمي يعذر صاحبه عند خطاه
في الحكم . فكان يعرض الوقائع التاريخية التي رافقت الاحكام
الاجتهادية ثم يناقشها باسلوبه التحليلي والاستنتاج العلمي -
الذي استعمله في كثير من كتبه - مشفعا ذلك بالادلة العقلية
والنقلية التي لا ينفك ان يجعلها سند أبحاثه ومدار استدلاله
مجانبا الاحكام الشخصية العارية عن الدليل المثبت والاستدلال
المقنع . والرد الشافي .

طبع « لاول مرة » : في النجف الاشرف بمطبعة النجف الاشرف
سنة ١٣٧٥ هـ كمل في (٢٧٩) صفحة بقطع النصف على ورق أبيض ،
قام بنشره المجمع الثقافي التابع لجمعية منتدى النشر في النجف

الاشرف ، وقدم له «مكتير الجمعية العلامة السيد محمد تقى الحكيم دراسة وافية عن الاجتهاد وما يعتمد عليه من اسس وقواعد في ضوء علم الاصول . كمل ذلك بما يقرب من (٤٠) صفحة بقطع النصف .

وطبع « للمرة الثانية » : في المطبعة التجارية ببغروت سنة ١٣٨٠ هـ كمل في (٣٩٧) صفحة بقطع النصف وقد اضيف له هذه المرة تقديم لنجل المؤلف الاستاذ صدر الدين شرف الدين بلغ (٨) صفحات . كما اضيف للكتاب نفسه بحوث الحقها المؤلف فيه قبيل وفاته - قدس سره - بلغت ما يقرب من (٧٠) صفحة .

٦ - مقدمة المجالس الفاخرة :

لقد ألف المقدس كتابا رتب على شكل مجالس حسينية اسماء (المجالس الفاخرة) ذهب فيما ذهب من الكتب التي عدى الدهر عليها الا ان المؤلف كان عازما على تجديد ذلك المجهود فقام بتأليف مقدمة له طبعت فيما بعد بحث في كتابه مقدمة المجالس عن رجحان عقد المآتم التي يقيمها الشيعة اليوم وامس فكانت شبيهة برد على بعض الافراد الذين نسبوا للشيعة فعل البدع في بكائهم - مثلا - على مقتل وسبي حرم ريحانة النبي الاعظم صلى الله عليها وسلم .

استدل الامام شرف الدين بهذه الرسالة على مشروعية المآتم من كتب الفريقين وعرض نبذا عن دوافع الحسين الى كربلاء والحسن اخيه - من قبل - الى الصلح مع معاوية (١) كاشفا عن

(١) كما و اشار الى ذلك في تقديمه لصلح الحسن من (ك) .

اهداف الامويين ونواياهم الاجرامية .

وقد طبع « للمرة الاولى » : في صيدا بمطبعة العرفان سنة ١٣٧٢ هـ كـمـل في (٧٢) صفحة بقطع الوسط ، على ورق ابيض .

وطبع « للمرة الثانية » : في مطبعة أهل البيت بـكـرـبـلـاء سنة ١٣٧٨ هـ كـمـل في (٧٦) صفحة بقطع النصف على ورق ابيض . اضيف اليه هذه المرة تقديم جليل وتعليقة مفيدة بقلم العلامة السيد نور الدين الميلاني .

٧ - المسائل الفقهية :

ادار المؤلف فيه البحث على ما يقرب من عشرين مسألة فقهية خلافية بين المذاهب الاسلامية الخمسة كانت موضع جدل بارز وضجيج متعال فاراد تخفيف او الحد من ذاك التحامل في ما بينهم والاخذ بين طالبي الحقيقة الى واقع تلك المسائل ، فبحثها عبر الكتاب والسنة ، فجاءت ابحاثه قوية الحجة ، واضحة المحجة ومن هنا فقد تتالى طلبه مما استدعى اعادة طبعه اكثر من مرة .

طبع « للمرة الاولى » : في صيدا بمطبعة العرفان سنة ١٣٧٠ هـ كـمـل في (٦٢) صفحة بقطع النصف على ورق ابيض .

وطبع « للمرة الثانية » : في بيروت بمطبعة الاندلس سنة ١٣٧٥ هـ كـمـل في (١٠٨) صفحات بقطع الربع على ورق أسمر .

وطبع « للمرة الثالثة » : في مطبعة دار الشمالي ببيروت سنة ١٣٨١ هـ بقطع الربع على ورق ابيض ناصع .

٨ - كلمة حول الرؤية :

رسالة كلامية بحث فيها المؤلف مسألة رؤية الخالق فابطل استدلال الرازي والزمخشري ، وغيرهما ممن يقول بالرؤية فراح يفند وجوه الاستدلال بالآيات والرويات فجاءت فريدة في بابها طافحة بالادلة العقلية والنقلية القطعية على اثبات الصانع وعدم رؤيته ، وقد كان لبعض ابحاث الكتاب وجود عنده . فجاءه في عالم الرؤيا وحثه على الكتابة في هذا الموضوع فسارع الى اتمامه وابرز به الى عالم الوجود كاملا :

طبع في مطبعة العرفان في صيدا سنة ١٣٧١ هـ كمل في (١٢٢) صفحة بقطع الربع على ورق أسمر .

٩ - فلسفة الميثاق والولاية :

جواب رسالة وردت الى السيد من ايران يسأل فيها المرسل عن تفسير آيات تتعلق في الولاية فاجابه قدس سره بهذه الرسالة المبسطة المستندة الى القواعد العلمية والعقلية .

طبعت « لأول مرة » : في مطبعة العرفان بصيدا سنة ١٣٦٠ هـ كملت باقل من (٥٠) صفحة بقطع الربع .

وطبع « للمرة الثانية » : في مطبعة العرفان بصيدا سنة ١٣٧١ هـ كمل في (٣٢) صفحة بقطع الربع .

١٠ - اجوبة مسائل جار الله :

وردت لسماحته تلك المسائل من قبل جمعية الرابطة الادبية

في النجف الاشرف حيث كان قد وجهها جار الله الى علماء الشيعة في العراق وايران ولبنان وللسيد نفسه ولما جائته رسالة الرابطة ورأى اصراره على ارادة الجواب نهض عليه الرحمة فردها ردا شافيا وافيا جاء والحمد لله على خير ما يتمناه من الحجة والبرهان المستندين الى العقل والنقل والاستنتاج والتحليل .

طبع « لأول مرة » : في مطبعة العرفان بصيدا سنة ١٣٥٥ هـ كمل في (١٥٢) صفحة بقطع الربع على ورق أسمر .

وطبع « للمرة الثانية » : في مطبعة العرفان بصيدا سنة ١٣٦٧ هـ كمل في (١٦٨) صفحة بقطع الربع على ورق اسمر ايضا .

• • كما ترجم الى اللغة الفارسية بقلم العلامة الشيخ علي روحاني الاصفهاني وطبع بمطبعة محمدي سنة ١٣٧٢ هـ كمل في (١٥٥) صفحة بقطع الوسط على ورق أبيض .

١١ - الى المجمع العلمي العربي بدمشق :

يتضمن بين دفتيه رسالة ارسلها الى المجمع العلمي العربي بدمشق يوم اولج المجمع الى رئيسه - محمد كرد علي - البحث عن حياة الشيعة وأخذت مجلة المجمع تطلع على المجتمع العربي والاسلامي بمقالاته التي غصت بالافتراءات والاكاذيب على الشيعة الامامية . وما كانت تلك الآراء التي راح يحررها ، الا سموما أموية ، واحقادا جاهلية ، نفثها من غير أيما تورع او احجام .

وهنا نهض اعلى الله مقامه كاشفا الستار عن واقع الشيعة ، وحقيقة تاريخهم ملفتا نظر المجمع الى ما فيه رشاده كالاب الرؤوف

والاخ الودود بكل ادب واحترام • فقد دعاهم للتمثل بالاخلاق
الاسلامية وتوحيد كلمة المسلمين والعمل على رص الصفوف •
وعاتبهم على ما نشر في المجلة عتاب حفاظ، ونبههم على مواضع
الشطط مشفعا ذلك كله بالشواهد والبراهين والادلة على
عادته •

وقد طبعت تلك الرسالة في صيدا بمطبعة العرفان سنة
١٣٦٩ هـ كمل طبعه في (١٢٨) صفحة بقطع الربع على ورق
ابيض •

١٢ - عقيلة الوحي :

رسالة موجزة في حياة السيدة زينب بنت الامام أمير المؤمنين
عليه السلام • حررها سماحته لتلقى في الاحتفال العام الذي
اقيم في قرية الست - من ضواحي دمشق - بمناسبة نصب
الضريح الجديد للسيدة زينب (١) • وقد طبعت ووزعت
على اعضاء الحفل •

طبع في دمشق بمطبعة زيدون سنة ١٣٧٤ هـ كمل في (٣١)
صفحة بقطع الربع على ورق أبيض •

(١) كان قد صنع في ايران بتبرع من الايرانيين ضريح اثري - لقبر السيدة
زينب - صنع من الابنوس ، والموازيك والعاج ، مطعم بخيوط من الذهب
ومرقوم ببعض الآلي الحكيم والشعر والنقوش • ولما حضر لدمشق
تكونت لجنة من المؤمنين للقيام باحتفال عند نصبه وفي المناسبة رجيت
اللجنة من الامام شرف الدين ان يتحف الرأي العام بنبذة تاريخية عن
حياة السيدة زينب ، فتكرم بهذه الرسالة •

١٣ - ثبت الاثبات :

رسالة صغيرة ذكر فيها قدس سره شيخوخه في الرواية من اعلام الشيعة الامامية ، والزيدية ، والسنة .

وقد جعله على شكل اجازة مبسطة يعطيها لمستجيزيه تاركا فيها بياضات . من اجل كتابة اسم المجيز وخصوصياته . وقد اسماها (الثبت الموسوي او ثبت الاثبات في سلسلة الرواة) وقد كتبه اول مرة كاجازة للسيد علي النقي النقوي الهندي . طبع في مطبعة العرفان بصيدا سنة ١٣٥٥ هـ كمل في (١٧) صفحة بقطع الوسط على ورق أسمر . واعيد طبعه « للمرة الثانية » على ما قيل . ولم نعر عليه .

١٤ - الاحتجاج على قانون الاحوال الشخصية في لبنان :

رفعه سيدنا الاعظم الى الحكومة اللبنانية في عهد الاستعمار الفرنسي . يوم شرعت الحكومة اللبنانية لقانون الاحوال الشخصية ملزمة الشعب بالخضوع الى أحكامه . وفي هذه المناسبة نهض سيدنا الاعظم فارسل هذا الاحتجاج باسم المسلمين عامة الى المفوض في بيروت (المسيو دي مارتيل) بواسطة (المسيو جان درش) آمر محافظ صيدا شرح فيه اعتزاز المسلمين بدينهم وعدم تقلبهم لقوانين تخالف احكام دينهم . ثم عرض فيه اثنا عشر مادة من القانون الحكومي للاحوال الشخصية . واثبت مخالفتها للاحكام الاسلامية ، ثم اصلحها بما يراه مناسبا وموافقا للشرع الحنيف .

وقد طبع بمطبعة العرفان في صيدا سنة ١٣٥٨ هـ كمل في (٨) صفحات بالقطع الوسط على ورق أسمر .

١٥ - بغية الراغبين في تاريخ آل شرف الدين :

كتاب خطي عائلي خاص يؤرخ لشجرة (شرف الدين) ومن يتصل بهم من آل الصدر وغيرهم . وهو كتاب ضخيم جليل ممتاز في ادب التراجم فكثيرا ما يذكر - على نحو الاستطراد - قصصا تاريخية او حوادث زمنية لها صلة بالشخص المترجم بل قد يعرض شيئا من العادات او التقاليد اثناء حديثه . كل هذا حوى عليه الكتاب ضمن رصف رشيق يجعل القارئ في جو ادبي مستمتع (١) .

وقد بوشر طبعه منذ اكثر من شهرين سنة ١٣٨٢ هـ ومن المحتمل ان يكون تَمَّ طبعه او اشرف على الانتهاء ، يقع الكتاب في مجلدين ، يكمل كل منهما في (٤٠٠) صفحة - تقريبا - بقطع النصف .

١٦ - عمر بن الخطاب :

١٧ - عائشة :

هذان الكتابان ذكرتهما نشرة اجوبة المسائل الدينية الصادرة في كربلاء في عددها الثاني للسنة الثالثة اثناء حديثها عن حياة المقدس الامام شرف الدين . والواقع ان هذين الكتابين لا وجود لهما في جملة كتبه . نعم سبق ان 'سمع عن السيد انه يكتب في عمر وعائشة كما وجرى ذكرهما في مقدمة النص والاجتهاد في

(١) حدثني عن الكتاب - ولم اره - السيد محمد باقر الصدر بعد مجيئه هذا العام من لبنان سنة ١٣٨٢ هجرية .

طبعته الاولى - الا ان المقدمة بعد ذكرهما باسطر اشارت لعدم
كونهما كتابين - والذي حصل حقيقة هو ان السيد جمع الى
هذين عدة مواضيع أخرى واسماها (النص والاجتهاد)
- السابق الذكر .

١٨ - مسائل خلافية :

وهذا الكتاب - ايضا - ذكرته النشرة السابقة مع انه لا
وجود له الا مجرد ذكر هذا اللفظ في اواخر مقدمة النص السيد
الحكيم . اذ حكى ان السيد الف في المسائل الخلافية كتابا اسماه
النص والاجتهاد . واكبر الظن ان الكاتب نظر الى المقدمة نظرة
عابرة فحسب ان كل اسم واقع بين قوسين كتابا . ومن هنا فقد
وقع بهذا النوع من الخلط . ويثبت لنا عدم وجود تلك الكتب
الثلاثة ايضا هو الموجز التاريخي لحياة الامام شرف الدين الذي
طبعته لجنة التايين في صور فقد جرى ذكر اسماء كتبه ما عدا
هذه الثلاثة وكتابا (زينب . و . الاحتجاج) . اما نحن فقد
ذكرنا الاخيرين لاننا لاحظنا ان كلا منهما اكبر حجما من ثبت
الاثبات الذي ذكره كل من تحدث عن مؤلفات السيد شرف الدين .

١٩ - آثاره المخطوطة المفقودة :

لقد صاغ لنا من روحه العلمية جملة من الكتب غدر الدهر
بها ، فذهبت آثارها ابان الاعتداء الفرنسي الاثيم على داره في
صور فنهبته وداره في شعور فالهبت النار بها .
واليك هذا الثبت لتلك الكتب الغطية المفقودة حسبما جاء
في موجز حياته الذي طبع ووزع على المدعوين في صور في

- الحفل التأبيني بعد مرور اربعين يوما على وفاته قدس سره .
وهو مطابق لما جاء في ترجمة الحجة آل ياسين في مقدمة
المراجعات في طبعتها الثانية وما تلاها . وهي ما يلي :
- ١ - شرح التبصرة في الفقه . بحوث استدلالية في الطهارة
والقضاء والشهادات والمواريث .
 - ٢ - تعليق على الاستصحاب من رسائل الشيخ في اصول
الفقه .
 - ٣ - رسالة في منجزات المريض - استدلالية - .
 - ٤ - سبيل المؤمنين - في الامامة - يقع في ثلاث مجلدات .
 - ٥ - النصوص الجليلة في الامامة ذكر فيه اربعون نصا
اجمعت الامة على صحتها .
 - ٦ - تنزيل الآيات الباهرة مجلد واحد بحث الايات التي
نزلت في الائمة بحكم الصحاح .
 - ٧ - تحفة المحدثين فيما اخرج عنه الستة من المضعفين .
 - ٨ - تحفة الاصحاب في حكم اهل الكتاب . نشر بعضه في
العرفان .
 - ٩ - الذريعة - رد على بديعة النبھاني . نشر بعضه في
العرفان .
 - ١٠ - مؤلفوا الشيعة في صدر الاسلام . نشرت بعض
فصوله في المجلد الاول والثاني من العرفان .
 - ١١ - بغية الفائز في نقل الجنائز نشر اكثره في العرفان .

- ١٢ - بغية السائل في لثم الايدي والانامل رسالة علمية ،
ادبية ، فكاھية .
- ١٣ - زكاة الاخلاق ، نشرت العرفان بعض فصوله .
- ١٤ - الفوائد والفرائد . نشرت العرفان بعض فصوله .
- ١٥ - تعلیقة على صحيح البخاري . نشرت العرفان بعض فصوله .
- ١٦ - تعلیقة على صحيح مسلم . نشرت العرفان بعض فصوله .
- ١٧ - الاساليب البديعة في رجحان مآتم الشيعة . اعتمد على الادلة العقلية والنقلية .
- ١٨ - المجالس الفاخرة اربع مجلدات . الاول في السيرة النبوية والثاني في علي والزھراء والحسن والحسين والثالث والرابع في باقي الائمة وللسيد كتابات في مواضيع اخرى بعضها ذهب في المفقودات وبعضها لا يزال ناقصا او تحت الطبع كبغية الراغبين السابق ذكره .

ثقافته وأدبه

لقد أصبح لديك صورة واقعية عن ثقافة السيد مما اوحتك اليك حياته العلمية . ومنزلته فيها . وما انبأت عنه مؤلفاته المتنوعة المتحلية بأسمى صفات البحث الكامل كالاتقان والعمق والاصالة والاستيعاب لموضوع البحث من مختلف الجوانب

المتعلقة به وحلها حلا تجلله المثانة والغور وقوة التفكير المعرب
عن خصوبة فكره وعلو كعبه في ميدان الحياة العلمية .

درس سيدنا المقدس مرحلته العلمية في جامعة النجف
الاشرف . فكان مثالا للطلاب المشتغل الحريص على بغيته ، الدائب
على الامام بمهام وظيفته ، التي كانت ولا تزال تركز على
اسس علمية - كان لسيدنا الباع الطويل فيها - مختلفة .
كالعلوم العربية صرفا ونحوا واسس الفصاحة . والبلاغة من علم
المعاني والبيان والبديع ، وما يتصل بذلك من فنون الادب .
وعندما يحدثنا السيد عن دراسته لمبادئ الادب يقول : وحين
قرأت على والدي كتب النحو كان يفرض علي قراءة العبارة
على العربية ، ثم اعرابها ، ثم تفسيرها قبل الدرس في كل يوم ،
وكنت احفظ في كل يوم بيتين من ديوان الحماسة - لابي
تمام - او غيره من شعر العرب فاتلوها وافسرهما بين يديه
بعد مراجعة القاموس في حُلّ الغريب من مفرداتهما ولم
يجعل لي مندوحة عن ذلك أبدا (١) .

ونحن نعلم ان انسانا ينشأ على هذا النوع من غزارة المادة
الفكرية يكون صلب السكب جلي النتيجة - خاصة فيما اذا
استمر على ذلك - ولا بُد ان تكون حياته في هذا الميدان
على الخصوص آخذة في النمو والازدهار واخيرا تتسم بجانب
رفيع من العلو والمظمة ، والاجلال والرفعة في ميدان الادب .
لقد كان - الى جانب احاطته بالعلوم العربية وآدابها -
مجيدا لعلم المنطق وامتقنا لعلم التاريخ والحديث ، ومجيدا لعلم

(١) بغية الراغبين عن العرفان المجلد ٤٥ ص ٢٧٨ .

التفسير والرجال والرواية والانساب، وقد حاز مرتبة الاستاذية في علم الاصول والفقه والكلام . هكذا كان قدس سره متحلياً بمثل هذه السمات الذهبية في دنيا العلم والمعرفة .

فتراه حين يعرض مسألة البحث مستوعباً لما يتصل بها من علم التاريخ والاجتماع ، أنت تقرأه في مناقشاته الفقهية واذا به يدور بك في معارف القديم والحديث من دون ان يخرج بك بعيداً عن مدار هدفه في البحث . فلا تخرج من ابحاثه الا ان يجعلك حافلاً بالسمات النفسية في عالم التدقيق والاستنتاج والنقد .

فالمترجم لم يكن بعيداً عن الادب بل هو من ابطال هذا المضمار وخاصة في الجانب النثري منه . اذ ان اسسه تلك السالفة - لهي اعظم رصيد يبعث به الى خوض المعارك الادبية . وبوجه آخر : ان حفظه للشعر واتقائه لعلمي الفصاحة والبلاغة وما يتصل بهما واحاطته بشتى جوانب التاريخ العربي والاسلامي لهي الكفيلة بان تجعله في مصاف الادباء . مضافاً الى ما عرفناه عن السيد من حدة ذكائه وسمو فكره عند حياته العلمية ومنزلته فيها .

ولعل من الخير لنا ان نذكر بعض النصوص من كلامه للتدليل على مقدرته العلمية في دنيا النشر الادبي . فطالما يطالعنا السيد بالكثير من ذلك عندما يتحرر من عالم الاستدلال النقلي ويعوم في عالم الاستدلال العقلي والتعبير عن مشاعره الخاصة ولتسمع اليه حيث يقول :

« اما اذا كانت الامة اوزاعاً متباينة ، وشيماً متباغضة ، لاهية بعبثها ، غافلة عن رقيها ، لتكونن حيث منابت الشبح ومهافي

الريح اذل الامم دارا ، واجديها فرارا ، مذقة الشارب ونهزة
الطامع ، وقبسة العجلان ، في باحة ذل ، وحلقة ضيق ، وعرصة
موت ، وحرمة بلاء ، لا تأوي الى جناح دعوة ، ولا تعصم بظل
منعة ... الخ « (١) .

وجاء في رسالته الى المجمع العلمي العربي بدمشق : -

« ... والشيعية اخوانكم في الدين واشد المسلمين دفاعا عنه ،
ودعاية اليه ، واحتياطا عليه ، أرضيتهم ام كرهتهم ، أنصفتهم ام
أجحفتهم ، وقد ملأوا الدنيا الاسلامية عددا ناميا ، وعلوما
زاخرة - عقلية ونقلية - وتلك مؤلفاتهم في اصوله وعقائده ،
وفروعه وقواعده ، ... الخ « (٢) .

وقال سماحته في حديث له مع موسى جار الله - بعد ان
دلل له على عدم وجوب الجهاد في هذه الايام عند المذهب
الامامي - ما يأتي :

« والحرب قد بانَت الحقائق وظهرت من بعدها مصادق

وشهدت يوم دارت رحاها العالمية ، بان علماء الامامة كانوا
في ساحتها من ارسنخ المجاهدين قدما ، واعلاهم همما ، وامضاهم
عزيمة ، واشدهم شكيمة ، وقد لبسوا يوم (القرنة) (١) - في
العراق - للحرب لامتها، وادرعوا لها بدرعها . وكان في مقدمتهم
الامامان المجاهدان : الشيخ فتح الله - المدعو شيخ الشريعة -
والشريف الوحيد السيد محمد سعيد الحبوبي . وهما - يومئذ -

(١) الفصول المهمة : ص ٤ الطبعة الثالثة .

(٢) الى المجمع العلمي العربي بدمشق : ص ١٩-٢٠ .

(١) مدينة تقع عند ملتقى نهري دجلة والفرات . منهما يتكون شط العرب .

من اجل مجتهدى الشيعة في العراق ، ومن اكبر شيوخ الاسلام على الاطلاق ، وكان الشيخ قد اربى على الثمانين ، والسيد قد ذرف عليها فلم يمنعهما ضعف الشيخوخة ، ودقة عظمها ، ورقة جلدها ، عن قيادة ذلك الجيش الهام المحتشد من العلماء الاعلام ٠٠٠ الخ « (٢) .

هذه النصوص مضافة الى الموضوع السابق (الحياة العلمية في عصره بقلمه) بمجموعها تلقي لنا بعض الضوء على نوعية أدبه وشكله - سيأتي مزيد حديث فيها - والحقيقة امثال هذه النصوص وغيرها متكرر او متكرر في جملة كتبه الفصول المهمة والى المجمع ومسائل جار الله وغيرها .

اسلوبه الادبي

في عقيدتي : ان السيد شرف الدين لم يسر باسلوبه الادبي - النثري - جميع ادوار حياته على نسق واحد ، بل كان آخذا في التطور مع الزمن . مدلا في ذلك عن عدم انقطاعه طيلة عمره عن الدراسة الشخصية . ومراجعة الكتب الحديثة المتجددة في اسلوبها ، السائرة مع تيار التطور الادبي . (١) .

فقد لمست أن السيد كان يتبنى الاسلوب المسجع في اوائل ايامه وخاصة في كتابه الفصول المهمة ، اذ كثيرا ما ينطلق في التعبير عن مشاعره الخاصة ، ويسيطر عليه الادب فيتحننا

(٢) اجوبة مسائل جارالله ص ٦٥-٦٦ - الطبعة الثانية .

(١) حدثني بعض فضلاء العاملين الذين عاشوا معه ردحا من الزمن انه كان يقرأ حتى بعض القصص والجرائد .

بمقاطيع ادبية الى حد ما بطابع التسجيع والازدواج الذي لا تظهر عليه امارات التكلف فلنسمع الى بعض مقاطيعه اذ يقول : « ففي السنة التالية للكتاب ، وهي الجنة الواقية من العذاب ، - واليكما في أصول الكافي وغيره ، تعلن بالبشائر ، لاهل الايمان بالله واليوم الآخر ، لكنها تخصص ما سمعته من تلك العموميات المتكاثرة ، بولاية آل رسول الله وعترته الطاهرة ، الذين قرنها بحكم الكتاب ، وجعلهم قدوة لاولي الالباب ، ونص على انهم سفن النجاة ، اذا طفى تيار الفتن ، وامان الامة اذا هاج اعصار المحن ، وغيوم الهداية ، اذا اضلهم ليل الغواية ، وباب حطة لا يفقر الا لمن دخلها ، والعروة الوثقى لا انفصام لها ، ولا غرو فان ولايتهم من اصول الدين ، وقد اقمنا على ذلك قواطع الحجج ومواطع البراهين ، ادلة عقلية ، وحججا نقلية ، نلفت الباحثين الى الوقوف عليها في كتابنا (١) (سبيل المؤمنين) ٠٠٠ الخ » (٢) .

وقوله : - « أفضى بنا الكلام ، الى ما هو غير مقصود بالذات ، وليس الغرض الا تاليف المسلمين ، واعلامهم بانهم اخوان في الدين ، ولا ترتاب في ان سب رجل من عرض المؤمنين ، فضلا عن سلفنا الصالح من الصحابة والتابعين ٠٠٠ الخ » (٣) .

وقوله : - « ٠٠٠ وقد علم اهل التدقيق من اولي البصائر ، انه ما كان لهذا الفاجر ، ان يرتكب من اهل البيت ما ارتكب ، لولا ما مهده سلفه ، من هدم سورهم ، واطفاء نورهم ، وحمله

(١) هو من الكتب التي عدى الاجرام الفرنسي عليها .

(٢) الفصول المهمة : ص (٢٥-٢٦) الطبعة الثالثة .

(٣) الفصول المهمة : ص (٢٦) الطبعة الثالثة .

الناس على رقابهم ، وفعله الشنيع يوم بابهم . . . الخ « (١) .
وقوله : - « . . . وقد طبعت الاجيال المختلفة في الامامة ،
على هذه العصبية ، والفت هذه الحزبية ، بدون تدبر وروية
. . . الخ « (٢) .

ومما جاء في رسالته الجوابية الاولى لشيخ الازهر قوله :
« . . . رميتني بآمالك ، ونزعت الي برجائك ، وانت قبله
الراجي ، وعصمة اللاجي ، وقد ركبت من سوريا اليك ظهور
الآمال ، وحططت بفنائك ما شددت من حال ، منتجعا علمك ،
مستمطرا فضلك ، . . . » (٣) .

مثل هذا السجع او الازدواج كثير في غضون احاديثه . الا
انه لا يتلفت اليه القارئ مع عدم توجيه ذهنه الى النقد
والملاحظة .

ولقد سمعت ممن عاش في كنفه العلمي - اكثر من عام -
انه كان سماحته لا يفارقه كتاب المترادف والمتوارد وكان عند
كتابته كثيرا ما ينتقي العبارات انتقاء ، خصوصا فيما اذا كان
الامر مثيرا عنده .

هذا . . ما رأيته من ملاحظة اسلوبه في كتبه الاولى . اما
اسلوبه في كتبه المتأخرة كالمسائل الفقهية . والى المجمع العلمي
العربي بدمشق . والنص والاجتهاد فقد دقت فيه غير مرة
واجتهدت بالفحص . فلم اجد له من ذلك نظيرا ابدا .

(١) مقدمة المجالس الفاخرة: ص (٤٥) الطبعة الثانية .

(٢) المراجعات : ص (٤) الطبعة الرابعة .

(٣) المراجعات : ص (٨) الطبعة الرابعة .

أدبه في حقل الشعر

أما أدبه في حقل الشعر فقد كان حفاظا للكثير من الشعر الجاهلي والاسلامي والحديث . حائزا للملكة قادرة على النقد الصائب فيه . غير ان الذي كانت تطمح اليه نفسه في الحياة من الرقي في العلوم الاسلامية يشغله عن مزاولة الشعر .

وقد بحثت - وانا في النجف الاشرف - عن شيء من الشعر له حتى مللت وسأمت ، فلم احظي بشيء من ذلك غير السماع بوجود قصيدة له لا اثر لها . نعم الذي يجعل الامر موضع شك عبارة له وردت في ترجمته لنفسه عند كلامه عن المجيء الى العراق « وكم اردت ذلك (الهجرة الى العراق) منه فكان (والده) اعلى الله مقامه يرجئه من حين الى آخر (فاستعطفته بأبيات من الشعر) فما قرأها حتى عزم على انجاز المهمة » (١) .

هذه العبارة تستوقفنا فتجعلنا نقول بوجود شيء من الشعر له . وتحدوا بنا لعدم القطع بنفي الشعر عنه فتجعل الامر في موضع شك بل تجعل في النفس ظنا بوجود شعر له مع غير حصول النفس على اعتقاد جازم لوجود الاحتمال القائل بان تلك الابيات التي استعطفه بها لم تكن من شعره وانما جاء بغية الاستثناس كما شوهد ذلك في كتاباته غير مرة .

وكيف كان . . فان الحكم بعدم وجود شعر له لا ينفي كونه اديبا . فاننا نعرف ان الاصمعي مع علو مكانه في الادب ، كان لا ينظم الشعر . ومثله : ما هو معروف عن الخليل ابن احمد فانه

(١) بغية الراغبين : عن العرفان : المجلد ٤٥ ص (٢٧٩) .

اروى الناس للشعر وواضع قواعده الاولى الا ان المعروف عنه
عدم انشاءه شيئاً ما يذكر .

بلاغة ادبه

اما ادبه من حيث البلاغة فانه كان على مرتبة عالية منه ،
يفيض من نواجذه . وتطفح المفردات اللغوية في عالم فكره فاذا
اراد البلاغة اجادها واذا اراد التبسط في العبارة اداها ؛ فهو
على مقدرة من الامرين . لا يوقفه عن غايته قصور باع . ولا
يبطاه مانع .

ولنسمع اليه في ترجمته للسيد حسن الصدر حيث يقول : —
« لم تفتح عيني على مثله ، ثبت الغدر (١) في مناظراته دفاعا
عن الدين الاسلامي ، وانتصارا للمذهب الامامي ، بعيد
المستمر (٢) في ذلك ، شديد العارضة (٣) ، غرب اللسان (٤)
طويل النفس في البحث ، بعيد غور الحجة (٥) ، يقطع المبتل
باحق فيرميه بسكاته (٦) ويدمغه بأقحاف رأسه (٧) فاذا هو
زاهق » (٨) .

- (١) اي ثبت الرأي .
- (٢) اي طويل الاستمرار .
- (٣) اي الكلام وحسن البيان .
- (٤) اي جديد العبارة .
- (٥) اي عميقها .
- (٦) اي يسكته .
- (٧) اي انه يدمغه ويكسره .
- (٨) تأسيس الشيعة : تأليف السيد حسن الصدر : ص (١٢ - ١٣)
الطبعة الاولى .

ولنسمع اليه ايضا - في تقديمه لكتاب صلح الحسن حيث يقول : - « وها هو ذا مشرف من القمة على الامة ، ليسد في مكتبته فراغا كانت في فاقة الى سده ، فجزاه الله عن الامة وعن الائمة ، وعن غوامض العلم ، التي استجلاها ، ومخبأته التي استخرجها ، ومحصى حقائقها » (١) وغيرها من هذه الامثال كثير .

هذا النوع من رقي التعبير ليس الا نتيجة لادبه الراقى المنبعث عن ثقافته الواسعة ، وعقله النير ، وفكره الوقاد .

ومن هنا نجده في علم الخطابة قد حلق للفاية وأخذت البلاغة منه مأخذها فلم تتمكن من استنفاد مكنون علمه وادبه وثقافته . وما حياته العملية - الآتي ذكرها - الا نتيجة خطاباته وطلاقة لسان منبره ؛ فقد كان اذا اخذ في الحديث بمجتمع ما كالسيل العارم تتدفق منه الحكمة والعلم ، وتجلوه لماعة الادب ، ومتانة التعبير . حتى قال احد الفضلاء العاملين انه سمع منه يقول لولده صدر الدين : « انت كاتب خير منك خطيبا . اما انا فمتكلم خير مني كاتباً » . ومن الممكن ارادته شيئا من التوجيه والتحميس لولده بغية العمل في حقل التأليف والنشر .

(١) صلح الحسن: ص (ل) الطبعة الاولى : تأليف الشيخ راضي آل ياسين .

حياته العملية

- ١ - عودته الى وطنه
- ٢ - مشاريعه الدينية
- ٣ - مشاريعه الثقافية والاجتماعية
- ٤ - أسفاره
- ٥ - كفاحه ضد الاستعمار

عودته الى وطنه

استكمل السيد شرف الدين بغيته من العلوم الدينية في دار الهجرة بالنجف الاشرف ، واصبح معروفا بالفضل والكمال بعد ان خبرته دورات البحث ومجالس المناقشة وندوات المذاكرة وحلقات التحصيل .

ذاع صيته واشتهرت منزلته المرموقة بين العلماء الاعلام ، ووصلت بشائر ذلك نحو والده المقدس ، فبعث اليه يطلبه ليكون الى جانبه في بلده « شحور » .

وحيث كان السيد من شأنه وعاداته التي نشأ عليها - شأن المؤمنين المتقين - انه لا يتوانى في امتثال اوامر ولي نعمته - كما يعبر بذلك عن والده - فسارع لامتثال امره واعد العدة للسفر رغم تعلقه بدار علمه : بمجالسها وندواتها وحرم جده المرتضى وتلك الروحانية التي تسيطر على زائره فتلقي على روحه الصفاء وترتقي به الى أوج الانقطاع لله الواحد القهار .

وفي اليوم التاسع من ربيع الاول سنة ١٣٢٢ هـ رحل السيد من النجف الأشرف قاصدا وطنه العزيز - جبل عامل - الذي فارقه منذ اثنا عشر سنة - تصحبه والدته وعياله واولاده واخوه الاصغر السيد شريف . وعندما قارب السيد برحله « دمشق » استقبله والده وعمه السيد اسماعيل وعمه السيد حسين

والمقدس السيد محسن الامين والشيخ محمود مغنية وآخرون من
مؤمني جبل عامل ودمشق .

دخل السيد مع اهله ومستقبله « دمشق » ونزل في دار
السيد الامين تلك الليلة واخذ المؤمنون يعقدون له الندوات
والدعوات وجاءته الوفود زائرة لحضرته من دمشق وجبل
عامل .

اقلع السيد من دمشق ودخل جبل عامل فمر بطريقه على
قرية « عديسة » وهناك استقبله السيد محمود والسيد نجيب
فضل الله والسيد حيدر مرتضى وصنوه السيد جواد والشيخ
حسين مغنية وزعيم البلاد كامل بك الاسعد ووجوه البلاد
والاعيان . ثم تابع الجميع السير حتى وصلوا قرية « الطيبة »
- حيث يقطنها الاسعد - فنزلوا بها برهة من الزمن اجابة
لمراسيم الضيافة العربية التي قام بها كامل الاسعد .

ثم استمر الجميع بالسير حتى وصل السيد بمن معه بلدة
« شعور » وهناك اخذ المؤمنون من شتى المدن والقرى يقصدون
السيد لزيارته . وياخذون في الترحيب فيه بنثر الادب ونظمه
مما جعل الشعراء تتبارى في ذلك الميدان وفي ابراز ذاته على
شاشة الشعر العربي :

ومما قيل في تلك المناسبة قصيدة للاديب الفاضل السيد
محسن قنديل ، كان مطلعها : -

وقدك مياس ام الغصن مائل	اوجهك وضاء ام البدر كامل
وتلك لحاظ ام سهام قوائل	وشعرك ام ليل الدجنة فاحم
الى ان يقول :	

فتى المجد من يزهو به المجد والعلی
ومن باسمه تسري وتحدوا القوافل
منار هدى يهدي المظلمين نوره
وبحر له المعروف والفضل ساحل
به نعم القطر العراقي وازدهى
الا فانعمي عينا به اليوم عامل
لقد حلّ فيها للشریعة كافلا
ومن سواه للشریعة كافلا (١)
ومما قيل بنفس المناسبة قصيدة لابن عمه السيد هاشم
الموسوي كان مطلعها : -
بـعـیـونـك یـحـلـو الفـزل
وان كنّ یـدـنـین مرّ الـاجـل
الى ان یقول : -
وهـذـي البـلـاد غـدا افـقـها
وبـدر عـلـاه بـه مـكـتـمـل
عـلـیم عـلی عـمـل زانـه
وما زینة العـلـم الا العـمـل
بـه الدین اصـبـح مـسـتـبـشـرا
یـجـر بـرود الطـرـوب البـذل
والقـت الیـه مـقـالـیـدـها
شـریـعة مـحـمـد خیر الرسل (٢)
فـمـزت بـه جـانـبا مـثـلـما
بـها عـز جـانـبـه ان یـذـل

(١) (٢) بغية الراغبين . عن العرفان المجلد ٤٥ ص ٥٨٣ - ٥٨٤ .

هو الكامل الفذ اعني الشـ
ريف ومن حل في المجد اسمى الشرف
عطير الهناء ومهوى الرجاء
وزاكي السناء وزاد المقل
له همّة همها في العلى
على عزمة ما ثناها كسل
له الله من قادم اثلج الصد
ورهنّا واقرّ المقل (١)

وبعد ان استقرت به الديار في شحور ، واخذ يعمل الى جانب
المقدس والده في حقل التوجيه والارشاد والاصلاح - مدة ثلاث
سنوات تقريبا - عزم اهالي (صور) على طلبه اليهم بان يكون
عالما عندهم - فتكوّن من مؤمني اهالي صور وفد ذهب الى
«شحور» وطلبوا من سيادة والده ان يقطن - ولده بين ظهرا نبيهم
للامر بالمعروف والنهي عن المنكر ورعاية المؤمنين ونشر احكامه -
وبعد عدة طلبات وتوسلات بسيادته والتماسه الرضا امكنهم من
بغيتهم .

وفي منتصف ذي الحجة سنة ١٣٢٥ هـ رحل السيد يحفه
الاجلال والاحترام من اهالي صور الذين جاؤا ليكونوا الى
خدمته .

وصل السيد الى صور وحلّ في دار احد المؤمنين وبعد
مرور شهر واحد عينت له دارا خاصة به تناسب مقامه الكريم
وضل بها حتى اليوم .

(١) المصدر السابق .

حلّ الامام شرف الدين مدينة صور واخذ في الوعظ والارشاد والتنبيه والتوجيه والتعمير والاصلاح حتى تم له ما اراد وحصل على بغيته ومناه .

دخل السيد شرف الدين مدينة صور واذا بها خالية من اي مركز ديني او اجتماعي او علمي او ثقافي يلم شعنتها ويجمع شملها سوى ما كان فيها من مسجد صغير قديم بقي من آثار الوائليين زعماء الشيعة في جبل عامل .

منذ جاء سيادته الى صور كان الامل يصادره والنشاط يحدوا به الى تحقيق رسالته . تلك هي رسالة الاصلاح التي ضحى من اجلها النبي محمد (ص) وآله (ع) من بعده .

مشاريعه الدينية

عزم السيد على تنفيذ مخطط رسالته وتحقيقها ، فنهض بفكر نيّر وثبات عزيزة الى ميدان العمل ، واخذ يسير في ذلك كله طبقا لخطى دستوره الذي رسمه الى رسالته الاصلاحية ، جاعلا نصب عينيه تلك الحياة العملية التي مثلها النبي الاكرم (ص) وآله الطاهرون (ع) على مسرح الحياة في ميدان الاصلاح .

لقد اخذ السيد في بدء نهضته يؤم الصلاة الجامعة بالمؤمنين ويقيم مجالس الوعظ ، ويعقد ندوات التوجيه والارشاد في باحات بيوت المؤمنين - لما ذكرنا سابقا من عدم وجوو مركز يصلح لمثل تلك المحافل - التي جعلها مقرا دوريا لها بعد ان راحوا يتزاحمون ويبدون المنافسة في سبيل احتكار تلك الفضيلة المثلى .

اخذ ابناء البلدة يفدون بروح ملؤها الايمان والخشوع الى تلك المجالس الفاخرة بغية التزود من آدابها ودروسها وكثر تردادهم وزاد جمعهم فازدحمت المجالس وغصت النوادي - مما جعل للسيد طريقا الى الابتداء بحياة عملية جديدة - فعندها انتهاز الفرصة واستنهض همم المؤمنين لبناء مسجد يكون مركزا لهم في صلاتهم ومجالسهم وندواتهم ولكن حصلت في البين امور مما توقف هذا الطلب .

الحسينية

لقد نهض احد المؤمنين متبرعا بدار على ان تكون مقرا لتلك المجالس ، فكان من السيد انه لم يتقبلها منه الا بثمانها ، فاشتراها (قدس سره) وجعلها حسينية . اذ لاحظ ان جواز التصرف فيها يكون أوسع نطاقا من المسجد كما ان الدار غير قابلة بهندستها لان تكون مسجدا . وقد تم افتتاح الحسينية في عيد الغدير سنة ١٣٢٦ هـ . ومنذ ذلك اصبحت الحسينية مقرا لجميع المناسبات الدينية .

لقد اصبحت في المدينة مركزا اجتماعيا دينيا هي الحسينية ولكن شعر السيد ان هذه الحسينية ليست الا مجرد مركز للمناسبات الدينية . اما (صور) ذلك البلد المسلم وصاحب المركز الديني المرموق في جبل عامل فهي بحاجة ماسة الى مسجد يكون مركزا لعبادة الله سبحانه ويكون رمزا للبلد المسلم ، ومن هنا عزم على انشاء مسجد للبلد يكون ملائما لكبرها ومركزها الديني .

المسجد

شاهد السيد ان في البلد بعض دور قديمة تعود الى الحكومة
فاختار منها قطعة تبلغ مساحتها ثلاثة عشر دونم وابرق الى
الوالي العثماني (محمود رشاد) طلبا في استملاكها وقفا
للطائفة الشيعية الامامية . وعندما جائه الجواب بالايجاب اخذ
في بناء مسجد في جانب منها متبعا بهندسته ترتيب مسجد
الجزار في عكا . وما ان ارتفعت جدرانها للسقف حتى هبت نار
الحرب العالمية الاولى سنة ١٣٣٢ هجرية فتوقف العمل عن
الاستعمار (١) .

ولما وضعت الحرب اوزارها قام السيد مستنهضا الهمم في
اكماله حتى تحققت ارادته وكمل المسجد .

— اما المسجد القديم فلم يبقى خرابا بل سارع بهمة المؤمنين
الى بنائه ورفع اركانه وتشبيد جدرانه حتى قارب على الانتهاء
وبقي بحاجة الى بعض التكميلات فحققت جميعها بعد الفراغ من
المسجد الجديد —

لقد كان لتشييد المسجد الجديد أثر كبير في جبل عامل اذ
اصبح حديث الالسن وفخر اهالي صور لما كان عليه من ضخامة
الصنع وروعة الجمال . فقد نصبت فيه الاعمدة الحجرية المعثور
عليها في صور من آثار الفينيقيين مما لا يقوى على رفعه الا
عشرات الرجال . زائدا على قبتيه الكبيرتين الى جانب مئذنته
الشامخة .

(١) اي الاعمار — ح .

هذا . . . الى جانب ما قام به سيدنا المترجم من تشييد عدة مساجد في مختلف قرى جبل عامل المجاورة الى صور . فمما قام بعزمه ونشاطه : تشييد (مسجد البرج الشمالي) و (مسجد الحلوسية) و (مسجد ارزون) و (مسجد صريفا) و (مسجد دير كيفا) الى جانب هذا ترميم (مسجد شحور و (مسجد طير فلسية) و (مسجد قلوية) و (المسجد الكبير في قانا) ومن يعمر مساجد الله فانها من تقوى القلوب .

مشاريعه الثقافية والاجتماعية

جهاده في الميدان الثقافي

عرف السيد بأن شباب اليوم يذهبون الى المعاهد الدراسية ويقضون فيها عددا من السنوات في احضانها بغية الحصول على معلومات ثقافية تمكنهم من مسامرة الحياة الاقتصادية والاجتماعية . ولكن النتيجة بدت بوجه غير مقصود للطلاب ونتيجة غير مطلوبة لوليه .

يخرج الطلاب من المدارس والمعاهد - التي املتها يد الغرب - وهم مصاغين بروح العداء الى الدين والخروج على القيم الاخلاقية والمثل الانسانية التي فرضتها التعاليم الدينية . هذا هو واقع حياة ابنائنا في مدارس اليوم ومعاهد الامس القريب .

شعر السيد بهاتيك النتائج الدينية السيئة التي املتها حياة الطلاب الجامعية . فسارع الى العمل من أجل توفير حياة دراسية للطلاب تضمن لهم ثقافة المعاهد المصرية وتمتاز بروح التربية

الاسلامية واهدافها السامية ومثلها العليا . تمشيا مع حكمته
القائلة (لا ينتشر الهدى الا من حيث انتشر الضلال) .

على هذا عزم السيد . فهب بروح ملئها الشعور بالواجب
الذي يدفعه للمحافظة على عقيدة المسلمين فهرع الى اخوانه
المؤمنين في البلد واستصرخهم للامر . وحفز للعمل الى جنبه ،
حتى تم له الحصول على بقية القطعة الفاضلة عن المسجد
واستنقاذها - بعد ان تسلط عليها الفرنسيون عند الاحتلال -
من يرثي الاستعمار ، الذي اجري عدة محاولات - آن ذاك - من
اجل التقرب لسماحته وللشعب ، وللتكفير عن اذاه ابان ابتداء
سلطته على البلاد .

تسلم السيد الاذن بالبناء في القطعة وانشأ ستة مخازن
تجارية وانشأ على سطحها دارا واسعة جعلها فيما بعد مدرسة
اسماها (المدرسة الجعفرية) فتحت ابوابها للتعليم المجاني
سنة ١٣٥٧ .

وبعد محاولات اجرامية - قام بها بعض من يمشي في ركاب
السلطة قصد منها الاطاحة بالفكرة ورفع يد السيد عن القطعة -
بأنت بفشل المشاغبين عندها اخذ السيد في تسجيل كل ما هو
ملك للطائفة وقفا شرعيا صحيحا باسم الطائفة الجعفرية في
المحكمة الشرعية في صور .

وبعد مدة أخذ سماحته في توسيع المدرسة . فاسس فيها
مسجدا خاصا بالطلاب والاساتذة تبرع به احد مؤمني صور .
ثم اقام صرحا فوق المسجد ضمه الى المدرسة حتى اصبحت

متألفة من خمسة عشر غرفة عدا الباحات والساحات الواسعة الجميلة .

وقد اقام الى جانب ذلك كله ناديا فريدا اسماء (نادي الامام جعفر الصادق ع) تبلغ مساحته ما يقرب من ثلاثمائة وخمسين مترا جعله مقرا للاجتماعات الدينية والاجتماعية . تقام به المراسم الاسلامية وغيرها من الافراح والاتراح . ومن ذلك يوم عاشوراء ، والغدير ، والمولد النبوي الشريف وامثالها التي تحتشد فيها الجماهير من مختلف انحاء جبل عامل ليغترفوا من منهل سيدهم الامام شرف الدين فكان لهذا النادي أثر كبير في عالم الدعوة .

ان مثل هذا العمل الجبار وتلك الاهداف العالية الرامية الى تحقيقه - والتي عمل سماحة الامام شرف الدين على تحقيقها - لمّا يحتاج الى مزيد من الاموال الطائلة لتبرز كاملة في عالم الحياة العملية .

اما الامام شرف الدين فواقعه مكشوف لدى كل ناظر متفحص . فهو لم يكن ليملك من حطام هذه الدنيا شيئا الا ما كان ارثا من دار احرقها الفرنسيون في عهدهم الفاشم ودار يسكنها في صور قدمها اهالي صور لسماحته . عاش طيلة حياته غني النفس والروح لم يحرز لنفسه من هذه الدنيا شيئا يذكر بحديث . اذن فاقدامه على هذا العمل الجبار - او فقل ان قيام هذا العمل الجبار - لا بد له من ان تناله ايدي المؤمنين بالعون وايادي اهل الحمية بالمساعدة والتغذية .

لذا فقد استنهض سماحته مسلمي بلاده من التجار واصحاب

الاملاك وذوي الثروة وغيرهم من اجل احياء ذلك المشروع
الاجتماعي الثقافي العام فلاقى من الجميع تلبية طلبه . ومدت
بالمال تلك الايادي الكريمة واشفعوها بجهودهم في سبيل انتعاشه
حتى اليوم .

ومن طريف ما يروي - في هذا الصدد - ان سماحته ناشد
رئيس الحكومة اللبنانية العون لهذا المعهد العلمي من اموال
الحكومة المخصصة للمعاهد الثقافية في البلاد . ولكن الحكومة
اللبنانية كغيرها ابت المشاركة الصحيحة في مثل هذا المشروع
الخيرى . فأرسلت الى السيد بشيء زهيد من المال لا يعد مشاركة
لدولة قائمة في مثل هذا المشروع .

وهنا رفض السيد المساعدة المزعومة واتبعها ببرقية (١)
ضمنها - على نحو التمثل - ابياتا من الشعر ، جاء فيها :

أخطأت في طلبى وأخطأ في
ردى ورد يدي بغير يد
فلأجعلن عقوبتي أبدا
ان لا امدَّ يدي الى أحد
فتكون أول زلة سبقت
منى وآخرها الى الأبد

والسيد وان مد يده لم يكن ذلك لنفسه بل كان خدمة للمجتمع
والصالح العام . ومثل هذا العمل الجبار لا بد للانسان ان
يتحمل من اجله شتى الآلام والمحن . وتعتوره في طريقه مختلف
الصعاب . فلا بد لصاحبه من الصبر كما كان عليه الامام شرف

(١) دين وتمدين - محمد علي الحوماني ، الجزء الاول ص ٢٤٠

الدين عندما ارسل باولاده الى المهجر ومما جاء على لسان الامام
شرف الدين اثناء حديث له عن الكلية (١) .

هذا مشروع سقيناه دمع العين
وغذيناه بعصير الفكر
واهرقنا على قدميه ماء الوجه
في سبيل الله في سبيل الأمة

لقد رددت الالسن حديث البرقية وتناقلته الصحف والمجلات .
فتجاوبت اصداؤه في الآفاق حتى بلغ مسامع التجار العاملين في
المهجر . فاهتزت مشاعرهم . واستصرخوا بعضهم وتنادوا
لاغاثة المجتهد .

وفي سنة ١٩٤٩ ميلادي أرسل بولديه السيد صدر الدين ،
والسيد جعفر (٢) الى المؤمنين من ابناء جبل عامل في المهاجر
الافريقية من أجل نجدة المشروع . فجاءا بعد مدة لم تتجاوز
الستة اشهر بالمال الوافر الذي هيا للسيد فيما بعد ان يقيم معهدا
كبيرا في ثلاثة أدوار ، بكل دور جناحان وفي وسط الصرح برج
عظيم لساعة كبرى تضبط الوقت . وتعد الزمن وامام الصرح
ساحة تبلغ مساحتها ما يقرب من عشرة آلاف متر متصلة من
طرفها بالمدرسة الجعفرية الاولى . قدرت تكاليف البناء بنصف
مليون ليرة لبنانية أي ما يعادل اكثر من خمسة وستون الف

كان سفرهما بتاريخ ٢٨-١١-١٩٤٩ م . ثم سافر للمرة الثانية

السيد جعفر مدير الكلية منفردا بتاريخ ٢٨-٢-١٩٥٤ م ورجع في

٩-٨-١٩٥٤ م . ثم سافر للمرة الثالثة والاخيرة بتاريخ ١٥-١-٥٦ م

ورجع بتاريخ ٢٤-٦-١٩٥٦ م .

(٢) البيان السنوي للكلية الجعفرية ص ٣٤ الصادر سنة ١٩٥٨ م .

دينار عراقي وقد توج هذا الصرح باسم (الكلية الجعفرية –
بناية المهاجر) .

والواقع انك اذ تقف امام مجموعة تلك الابنية الضخمة
تشعر بانك امام دار للعلم والثقافة تلوح عن بعد لطلاب المعرفة
والثقافة .

وقد برزت اليوم وشقت طريقها في خدمة المجتمع الثقافي
الاسلامي والعربي واصبحت المعهد الذي يتوافد اليها رواد
الثقافة من كل مكان وجانب من انحاء جبل عامل .

يدير الجمعية اليوم ويشرف على سيرها ومناهجها ولد
المقدس السيد جعفر شرف الدين . وقد ظهرت الى المجتمع
بمرحلتها الاخيرة كما يلي (١) :

أ - الاعدادية الجعفرية للبنين :

ابتدائية : خارجية ، مجانية .

ب - الاعدادية الجعفرية للبنات :

ابتدائية : خارجية ، مجانية .

ج - الكلية الجعفرية :

ابتدائية : خارجية ، داخلية .

ثانوية : خارجية ، داخلية .

د - روضة الأطفال :

تربوية : للبنين والبنات .

هذا ما كان من نتاجه (قدس سره) في هذا الحقل ولكن

(١) كما بين ذلك في بيان الكلية لسنة: ١٣٧٧ - ١٣٧٨ هـ .

الحقيقة تقول لم يكن هذا الا نواة لطموحه • حفظ الله هذه المؤسسات من عبث العابثين •

لقد كان العزم الذي يحاور السيد منذ القدم تأسيس (كلية شرعية) (١) تأخذ على عاتقها اعداد طلاب في العلوم الاسلامية وغيرها - يلتحقون فيما بعد بجامعة النجف الاشرف في العراق - يتميزون بثقافات عامة ، واستعداد كامل لمقابلة التيارات الفاسدة ، ونشر مفاهيم الاسلام ، والدعوة الى مبادئ البناء باساليب تتلائم مع عقلية العصر الحديث - كما هو هدف (كلية الفقه) في النجف الاشرف اليوم •

ولكن الانحراف الذي لحق رجال الغد - من جراء المناهج المستوردة المضللة التي اتبعت في المدارس الحديثة - هو الذي دفع بسماحته الى ايقاف فكرة (الكلية الشرعية) - حالياً - والعمل على اقامة معهد (الكلية الجعفرية) التي سبق ان قلنا بانها اخذت على عاتقها مساندة المناهج الحديثة في المعاهد العصرية بشكل يتلاءم ، أولا يكون منافيا لاصول عقائد الاسلام وفروعها •

ومن هنا عزم السيد بعد نجاح الجعفرية على تأسيس فرع علمي اسلامي يهيئ الطلاب المتخرجين من الكلية الجعفرية للالتحاق بجامعة النجف بعد تخرجهم منه • وهم مزودين بالثقافات الدينية والحديثة مما له اساس اكيد بوظيفة العالم الديني اليوم •

هذا ما عزم سماحته على تحقيقه ، الا ان الظروف التي كانت

(١) البيان السنوي للكلية الجعفرية الصادر سنة ١٣٧٨ هـ ص ٢٧ •

تخلق له مختلف المشاكل الاجتماعية والدينية لم تسمح له بالعمل في سبيل ذلك او لم يكتب لها النجاح التام حتى فاجأه الاجل .
اذن : لم تكن مدارسه التربوية المنشأة الانواة لطموحاته العالية كما اشرنا لذلك من قبل .

× ×

ان فكرة تأسيس كلية شرعية من أجل تهيئة علماء دين نابيين يسايرون الحياة الحديثة والعقل الحديث - تذكرنا بتلك الحركة الاصلاحية التي قامت في النجف الاشرف حوالي سنة ١٣٤٨ هـ من اجل تعديل مناهج الدراسة في جامعة النجف وتنظيمها على الشكل الملائم لوظيفة رجل الدين في عصر الثقافة والرقى الفكري . بعد ان عاشت الامة عمرها القديم في ظل الامية العارمة ، وغزتها المبادئ الفاسدة والافكار المضللة .

نعم لقد قامت تلك الحركة الاصلاحية ، واجتمع اعضائها عشرات المرات واجريت كثير من الخطوات الاولى للعمل ، واشترك في تلك الاجتماعات اساتذة النجف وقادتها الدينيين امثال الشيخ عبد الحسين الرشتي والشيخ اغا رضا العراقي ، وامثال الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء والشيخ منصور المحتصر ، والشيخ محمد جواد الجزائري بالاضافة الى عدد كبير من الطلاب الافاضل امثال الشيخ محمد حسن المظفر والشيخ عبد الحسين الحلي والشيخ محمد رضا المظفر والسيد سعيد الحكيم وغيرهم كثير (١) .

(١) كان في هذه الطائفة الاخيرة نفر وافق على الفكرة . ولم ترضهم الاساليب .

ولكن الذي يؤسف له اشد الاسف هو خمود تلك الفكرة في مهدها وتراجع القائمين بها بعد مناهضة المناوئين من شياطين العصر واعداء كل اصلاح . اذ راحوا يرمون اعضاء الفكرة باتهامات قد لا يكون من الخير الاعراب عنها اليوم . وبالوقت نفسه ارى من اللازم ان لا ننسى ما كان لاعداء كل جديد ، واصدقاء كل قديم - في ذلك العصر - من اثر كبير في اخماد تلك الفكرة وتراجع اقطابها عن تنفيذها ، فهم في كل عصر يخافون من الشيء الجديد وكأنه غول يشغرفاه ليلتقم مثلهم .

ولقد كان لهذه الحركة اثر كبير في الاجيال العلمية التي تلتها او عاشت أيامها ، بل صارت - من بعد - هي مبعث الاشعاع الفكري لهم ، وبمثابة دروس توجيهية تعرفهم مناطق الزلق ومواقع الخطأ ليكونوا على حذر منها في حياتهم العلمية .

وكنتيجة لتلك الفكرة - التي هزت المشاعر وتغلغلت في ادمغة رجالات النجف - ظهرت (جمعية منتدى النشر) بشكل مجاني للفكرة ظاهرا لتتجنب شر من ناهضها بالامس ، ومندفعة بروح اهدافها في الواقع ضمان الخير الذي ارادت احرازه للنجف ، للعلم والدين .

والجمعية اذ تقوم على اعقاب الحركة السابقة كان لا بد لها من ان تتخذ من فشلها بالامس دروسا وعبرا تضمن لها النجاح اليوم وفي غدها القريب . لذا فقد سارت من بعد في حياتها العملية متجنبية - قدر الامكان - الاخطاء التي وقع فيها اعضاء الفكرة في السابق ، مبتدأة عملها بالاسباب البعيدة - الى حد ما - والتقدم بها شيئا فشيئا باستمرار كلما تقدم بها الزمن ايمانا منها بنظرية التطور في ميدان العمل الثقافي .

ومن هنا فقد باشرت الجمعية في سنتها الثانية - عام ١٣٥٥ هجرية - فتح مدرسة علمية بصف واحد لدراسة الفقه الاستدلالي ، والتفسير ، وأصول الفقه ، والكلام بإشراف كل من العلامة الحجة الشيخ عبد الحسين الرشتي والعلامة الحجة الشيخ عبد الحسين الحلبي (نور الله ضريحهما) .

وبعد مضي سنة على المدرسة اوقفت حركتها وظلت مجمدة حتى سنة ١٣٥٧ هـ حيث اعيد نشاطها من جديد ، ففتح الصف الاول ثم تلا ذلك ان تكونت من ثلاثة صفوف بلغ عدد سنة ١٣٥٨ هـ ما يقارب من - ١٥٠ - مائة وخمسين طالبا نتيجة للنجاح الباهر التي لاقت من قبل الهيئة العلمية .

وفي سنة ١٣٦٤ فتحت اربعة صفوف من جديد اعتبرت قسما متوسطا للعلوم الدينية، مع صف تحضيري قبلها والصفوف الثلاثة السالفة اعتبرت ككلية للعلوم الدينية تأتي بعدها (١) .

وبعد امد غير بعيد كتب للجمعية ان تجمد تلك المدارس جميعا لاسباب اقتصادية واجتماعية رافقتها آنذاك .

وفي سنة ١٣٧٦ هـ نشطت الجمعية بعد ان انشأت مقرها المجاور للصحن الحيدري فأعادت فكرة الاصلاح في الميدان العلمي على ذاكرتها - من جديد - .

ففي سنة ١٣٧٧ هـ قامت الجمعية بفتح مدرسة علمية منظمة

- (١) وفي نفس السنة فتحت الجمعية مدرسة الخطباء التي كتب لها ان لا تكمل عامها الاول نتيجة لمناهضة اعداء الاصلاح واعداء الجديد .
كما فتحت مدرسة ابتدائية تكونت من ستة صفوف استمرت هذه في كفاحها حتى اليوم .

باسم (كلية منتدى النشر) تدرس فيها - لمدة اربع سنوات - العلوم العالية من الفقه، والاصول، والكلام، وأصول التفسير، والحديث، وأصول الحديث، والتاريخ الاسلامي، وعلم النفس، وعلم الاجتماع، والحساب، والهندسة، والجغرافيا، واللغة الانكليزية . تكون طلابها من طلاب العلوم الدينية الذين اجتازوا مرحلة تعلم العلوم العربية والمنطق ومرتبة مرموقة بالفقه والاصول . فكانت هذه المدرسة بشكل لم تشهدده الجمعية ولا النجف من قبل .

كان افتتاح هذه المدرسة نتيجة لتلك الدوافع الرامية الى تنظيم الدراسة العلمية، وتطوير الافق الفكري للعالم الديني ، كي يضمن قادة الاسلام النجاح الاكمل ، قبال الافكار المستحدثة، والتيارات الجديدة التي جعلت من اجل تفكيك عرى المسلمين او كان من شأنها الانتهاء الى مثل ذلك . وقد كتب لي التوفيق فكنت من طلابها في الصف الاول ثم من طلابها في الصف الثاني من بعد .

ولم تمض على الدراسة في هذا الصف مدة وجيزة حتى نهضت الجمعية نهضة جبارة - سجلها لها التاريخ بأحرف من نور - اذ عمدت الى مناهج الكلية فوسعتها وارتقت بها من حسن الى احسن ومن راق الى ارقى بعد ان استحصلت من الحكومة المراقبة على الاعتراف بها ككلية ذات رسالة مستقلة .

فعندما اعادت فتح الصف الاول من جديد، باسم : كلية الفقه - وكنا من طلابه ايضا - واستمرت الدراسة فيها حتى اليوم والى الابد بأذن الله .

وفي هذه السنة ١٣٨١ هـ قدمت الجمعية الى المجتمع العلمي

والاسلامي بنتاج كليتها من خريجي الصف الرابع ، الذين اخذوا على عاتقهم الدعوة الى الدين الاسلامي والتبشير بمبادئه .
بعد ان زودتهم الكلية بثقافتها الواسعة ، من : (الفقه الامامي ، والفقه المقارن ، واصول الفقه ، والفلسفة الاسلامية ، والفلسفة الحديثة ، والمنطق - قسم الصناعات الخمس - ، والادب العربي ، والتاريخ الاسلامي ، والتاريخ الحديث ، وعلم النفس ، وعلم الاجتماع ، والتربية واصول التدريس ، واصول التفسير ، واصول الحديث والغة الانكليزية) .

نعم ثقفتهم بهذه الثقافات العامة التي اشرف على تدريسها ذوي اختصاص : من علماء اعلام ، ودكاترة افاضل .

واخيرا لقد كان لهذه الجمعية ان حققت القسط الاكبر من هدفها الذي اعرب عنه رئيسها وعميد الكلية المجاهد الاكبر الامام الحجة الشيخ محمد رضا المظفر في خطابه يوم الاحتفال بوضع الحجر الاساس لمركز الجمعية ومقر الكلية - بجانب الصحن العلوي الشريف - .

« ... نحتفل اليوم ، ونحن فخورون بأننا نقيم صرحا يبقى للأجيال الاتية . ولكن ليس الفخر ان نبني احجارا قائمة ، ونشيد بناية شامخة ، فان في المباني الشخصية ، والعامة ، ما هو افخم منها واضخم ، وانما الفخر والفضيلة - اذا تم لنا ذلك - ان نقيم صرحا علميا نافعا ، يؤسس على التقوى والصلاح ، والنية الخالصة ... » ثم قال عند وضع اول لبنة لهذا المعهد « اللهم اشهد على نياتنا .. اللهم لا تخيب سعيانا ولا تقطع

رجائنا انك حميد مجيد . . . » (١) .

لقد كان من المظفر قول ودعاء . ثم اصبح عملا ونتاج ، هـ -
هو شأن الصادقين . وهذه هي اعمال المخلصين . وهذه هي ربوع
المعهد تجلت للملأ الاسلامي فبرهنت على صدق النية . وحقيقة
الهدف . والمستقبل يبشر بالفتوح .

اخذ الله بأيدي هذه الجمعية بأعضائها ومؤازريها الى ما فيه
خير الامة الاسلامية بقيادة رئيسها الامام المجاهد الحجة المظفر
واخوانه الابرار المخلصين .

جهاده في الميدان الاجتماعي :

اذا كان لا بد لكل هدف من متعهد يشرف على تحقيقه . ولكل
عمل اجتماعي من مسؤول عن مراحل سيره في ميدان الحياة
العملية . فان سماحة الامام شرف الدين كانت اهدافه من اسمى
الاهداف واعماله من خير الاعمال . لذا فلم يتركها من دون ان
يرسم لها دستور العلم او يتخذ لاستمرار سيرها في دنيا الحياة
الانسانية التدابير اللازمة لذلك .

فكان من اهداف سيدنا المقدس انعاش الفقير والعمل على
رفع مستواه الاقتصادي والثقافي وبث روح الحياة العلمية بين
ابناء وطنه جبل عامل . ومن هنا فقد عمل لتحقيق ذلك في حياته
جهدا استطاعته منذ رجع من دار هجرته في العراق الى دار وطنه
في جبل عامل . ومن اجل الحفاظ على استمرار اعماله واهدافه

(١) نشرة (الحجر الاساسي) لمنتدى النشر ، الصادر سنة
١٣٧٢ هـ ١٩٥٣ م ص ٣٥ .

فقد قام بتأسيس : جمعية للحفاظ والقيام بمصالح الفقراء والاعمال الخيرية ، اسمها (جمعية البر والاحسان) واسس بعد ان برز معهده العلمي الى ميدان العمل - جمعية للحفاظ والاشراف على سير مؤسساته الخيرية والثقافية اسمها (الجمعية الخيرية الجعفرية) كل ذلك من اجل ضمان البقاء لاهدافه واعماله .

١ - الجمعية الخيرية الجعفرية :

ان السيد شرف الدين قام بتشبيد مسجدين في صور واعلاء صرح الكلية الجعفرية بمدارسها المختلفة ، من اجل تحقيق اهدافه طيلة حياته الشريفة واستمرارها في اداء رسالتها مع الزمن .

من اجل ضمان ذلك سارع الى تكوين جمعية في مدينة صور - سنة ١٣٧٦ هـ بموجب قانون شرعي رسمي - تكون بموجبه مسؤولية عن تلك الانشاءات الحية ، وملقى على عاتقها الحفاظ عليها من ان تتلاقفها غدرات الزمن ، وجعل في يدها تولية عامة على تلك الاوقاف جميعها كافة .

تكون اعضاء هذه الجمعية من طليعة المؤمنين الذين ساهموا في جميع المشاريع الخيرية بالمال والعمل (١) .

والجمعية حتى الان جادة في اداء رسالتها آخذة في الحفاظ على سير تلك المؤسسات ، والعمل من اجل تنمية اوقافها ،

(١) معلوماتنا عن هذه الجمعية مستندة الى البيان السنوي للكلية الجعفرية الصادر سنة ١٩٧٨ م .

وستظل هذه - الجمعية - انشاء الله - تعمل للغاية التي وضعها في عنقها سماحة الامام شرف الدين .

٢ - جمعية البر والاحسان :

في سنة ١٣٦٥ هـ اسس سماحة الامام شرف الدين جمعية باسم (جمعية البر والاحسان) جعل على عاتقها، القيام بالاعمال الخيرية ، وابداء الخدمات للفقراء المسلمين والحفاظ على قضاء حوائجهم من مأكّل وملبس ، وتطبيب وما الى ذلك مما هو موضع حاجة الانسان .

قدمت الجمعية لمدينة صور خدمات جليلة كان من اهمها الغاء عملية التسول في الاسواق بقيامها في تأدية حوائج الفقراء كل يوم او اسبوع او شهر - على اختلافهم - الى بيوت المعوزين منهم وتقديم الالبسة ومصارف التطبيب والادوية ، لاولي الحاجة . حتى اصبحت بهذا خالية من وجود اي متسول يذكر .

لم تقف الجمعية في نشاطها على سد حاجات فقراء البلد بل مدت يد المعونة - بالمساعدات النقدية والعينية - الى فقراء بعض القرى المجاورة لمدينة صور .

ليس هذا كل ما ادته من خدمات للمدينة بل قامت - الى جانب ذلك بتشديد سور لمقبرة مسلمي البلد . واحيت بناء اوقاف مطلّة على الهدم . وقامت بايواء الفقراء والعجزة المعوزين علاوة على تكلفتهم في سائر جوانب حياتهم الاخرى ، حتى قيامها بمصارف تجهيز الموتى منهم الى مقرهم الاخير . ولا تزال هذه الجمعية مستمرة في نشاطها حتى الان من غير

اي توان او تقصير بهمة اعضائها المؤمنين ، من الاخيار
والمثقفين النابهين مما جعل واردها من سنة ١٩٥٦م الى غاية
١٩٦٠م ما يبلغ (٩٠٤٦٨٠٥) ليرة لبنانية اعني ما يقرب من
اثنى عشر الف دينار عراقي . اخذ الله بأيدي القائمين عليها
الى ما فيه الصلاح والاصلاح ، والخير والرشاد .

٣ - ميتم . او دار للايتام :

لقد سعى من اجل تأسيس ميتم في صور يضم بين اكنافه
ايتام الشيعة في لبنان .

وبعد ان شرع في العمل وناهز على اكمال عدد قليل من
الغرف توقف عن الاستمرار لامور حدثت لم نتعرف على
تفصيلها .

وعسى القدير سبحانه يمن على الطائفة الشيعية بمن يقوم
بتحقيق هذه الدار لها . كي تسد حاجتها في جزء من هذا
الجانب . وعسى تحبوا شيئاً وهو شر لكم . والله يفعل ما يشاء .

أسفاره

١ - رحلته الى مصر

رجل الدين في النجف الاشرف يسمع بالازهر الشريف - في
مصر - ويقرأ عنه حوادث اليوم ، وتاريخ الماضي . ابان الدولة
الفاطمية وما بعدها - فتشتاق نفسه لمشاهدة هيكله ، والاطلاع
على كنه الدراسة فيه وكيفية مجراها ومسراها ، ومدى ما هنالك

من فرق بين المدرستين النجفية والازهرية • اللتان هما صنوان
في حقل الحياة العلمية الاسلامية والحفاظ على التراث الاسلامي
والعربي •

ان تلك الروح العلمية الوثابة التي تكمن في نفوس طلاب
النجف كانت ولا تزال تدفع بهم للعلم وتبعث بهم خلفه مهما كان
ازاء ذلك من صعب •

ومن هنا فقد امّ الازهر الشريف جملة من علمائنا الاعلام
قاصدين التزود من معارفه وسكبها الى جانب معارف النجف في
بوتقة فكرية واحدة كالشيخ البهائي والمجاهد الاكبر السيد
جمال الافغاني • والامام شرف الدين من اولئك الافذاذ الذين
يسعون وراء العلم ويشدون اليه الرحال ، ويتحملون من اجله
المكاره والصعاب •

ومن هنا ، فقد شد الرحال الى مصر بدافع من الهدف الذي
ذهب اليه اخوانه من قبل • وفي هذا يقول : « وكنت احب فيما
احب ، ان ازور مصر ، واقف على اعلامها ، لاخذ العلم عنهم ،
ولابلو ما يبلغني عن الجامع الازهر » (١) •

هذه سيرة علماء النجف في التحفز والتطلع الى كل ما يمت
للاسلام او الثقافة بصلة ما ، فمنهم من يشد الرحال في طلب
ذلك - واما الآخرون ، فيسعون وراء ما خطته الاقلام في الكتب
سواء كانت تلك الكتب من مصر ، ام بيروت ، ام سوريا ، ام
الهند ، ام ايران ، ام باكستان ، ام الشرق ، ام الغرب ، في اي
بلد كان • وسواء كانت تلك الكتب حصيلة نتاج فكر شيعي او

(١) بغية الراغبين العرفان هـ ٤٥ ص ٧٧٩ •

سني او مسيحي او غير ذلك فهو يتطلع الى العلم للعلم من دون
ان يقيدده جمود او خمول .

فانت تدخل الى مكتبات علماء النجف فتلاحظ ان المكتبة تحوي
من الكتب المفايرة لاختصاصه بالفقه واصوله ، ما يعادل اضعاف
كتب اختصاصه ، وما تحويه من الكتب المفايرة للكتب الشيعية
ما يعادل اضعاف ما تحويه من الكتب لابناء الشيعة . فهو يقرأ
الكثير او باستمرار يطلع على جل الكتب التي تصدر عن مصر
او بيروت او سوريا او غيرها .

ان علماء النجف المجتهدين منهم ، والذين لم يبلغوا رتبة
الاجتهاد - الا ان مجتمعاتهم الخاصة يوجد فيها من ابناء المذاهب
الاسلامية الاخرى - تراهم يتقنون جميعا الكثير مما يتصل بفقه
تلك المذاهب وتاريخها ، وما الى ذلك مما تعتمد عليه او له دخل
في حياته العلمية للدعوة الاسلامية ، ولا ثبات حقه بالادلة
الناصرة المثبتة للحجة والمقنعة للخصم .

اقلع السيد شرف الدين بالباخرة من بيروت الى مصر سنة
١٣٢٩ هـ صحبه ابن عمه السيد محمد حسين شرف الدين .
وما ان وصل ميناء بور سعيد حتى ركب القطار الى القاهرة
وهناك هب الى سجد الازهر في دورة بحث شيخ الازهر الشيخ
سليم الخوري وكان يدرس - حينئذ - سند الامام الشافعي في
الفقه . وبعد الدرس تناقش معه في اكثر من مرة في جل
معاوداته لمجلس ذلك الدرس . وعن طريق تلك المناقشات اصبح
بينهما شيئا من الترابط عملت على تثبيته اجتماعات خاصة دار
فيها الحديث حول امور علمية وعقائدية واجتماعية مختلفة .
وكان من نتيجة تلك المناقشات والترابط الجديد ان اتفقا

على بحث مسألة الخلافة والامامة عند الشيعة الامامية بالادلة المروية عند السنة والشيعة عن طريق المراسلة . فالازهرى يسأل . والنجفي يجيب .

واخيرا نتج عن ذلك كله ان انتهى البحث بينهما على ابدع ما يتصور في اسلوب البحث والتحليل . وطبع السيد الرسائل - نصا ومضمونا - تحت عنوان (المراجعات) الذي سبق ذكره في الحديث عن كتبه .

والحقيقة ان رحلة السيد هذه تعتبر من احسن الدراسات الموفقة لما اسفرت عنه من نتائج علمية وتعارف بين مدرسة النجف والازهر ويكفي الخير لها لتسجيل افضل كتاب (المراجعات) .

لم يقف السيد في رحلته هذه عند الاتصال بشيخ الازهر بل اجتمع بمختلف الاشخاص من علماء الازهر، من ذلك الشيخ محمد بنغيث والشيخ محمد السلموطي والشيخ محمد عبده الحى بن الشيخ عبد الكريم الكتاني الادريسي الفاسى وتبادل معهم المناظرات في مختلف الفنون العلمية والفلسفية .

وخرج السيد من مصر سنة ١٣٣٠ هـ وروحه ترنوا للبقاء في مصر . الا ان مركزه في لبنان كان يدعو ويطلبه وينتظره ففضل المصلحة العامة في جبل عامل على البقاء في مصر وتوجه نحو بلده بعد ان منحه العلماء عدة اجازات وخاصة اجازة شيخ الازهر والشيخ بنغيث والشيخ السلموطي والشيخ عبده الفاسى . ورجع السيد الى لبنان واستمرت الرسائل المتبادلة بينه وبين علماء الازهر وبالاخص رسائل المراجعات التي انقطعت عندما

ثارت نار الحرب العالمية الاولى فطفت مشاغلها على كل المشاغل
فانقطعت الرسائل بينهما والتهى الجميع بويلاتها - الحرب - .

٢ - سفره الى المدينة المنورة ومكة المكرمة

توجه الامام شرف الدين الى المدينة في شعبان سنة ١٣٢٨ هـ
قاصدا زيارة مرقد النبي الاعظم صلى الله عليه وسلم . وفي
صحبه ثلة من العلماء الافاضل ونفر من المؤمنين . ونزل بين
احضان المؤمنين من النخالة هناك الذين قاموا بمراسيم
الترحيب به . واخذ سماحته في توجيههم وارشادهم ، يلقي
عليهم الدروس الدينية والمواعظ الحكيمة . والاداب الاخلاقية
كما هي شيمته في نفع المسلمين كافة .

وفي المدينة قام أميرها في الاحتفاء به وكان يومها الشريف
شعاذ الحسني والامير الشريف ناصر فزاروا السيد أكثر من
مرة في جماعات من المؤمنين وابدوا لسماحته الخدمات الجلى
وقاموا بالحفاظ على راحته - طيلة مدة اقامته هناك حتى رجع
قبيل عيد الفطر بعد ان صام معظم شهر رمضان هناك .

وفي اواسط ذي القعدة سنة ١٣٤٠ هجرية سافر سماحته الى
مكة المكرمة قاصدا اداء فريضة الحج في عدد غفير من مؤمني
جبل عامل .

وفي رحلته هذه التي طالت مدة من الزمن لم تفتر عزيمته
عن الجهاد والوعظ والارشاد والتوجيه والتنبيه منذ اقلته
الباخرة - التي اعد له فيها جناحا خاصا مجانا - حتى رجع الى
بلدته صور . وكانت دروسه التي يلقيها على العجاج . وصلاة

الجماعة التي اقامها في المسجد الحرام ، ومسجد الخيف ،
ومسجد جدة ، وعلى ظهر الباخرة في جميع اوقات الصلاة كلها
او جميعها سجلت له مركزا عظيما في النفوس لن تنساه الاجيال
اذ لم يعهد الشيعة - من قبل - قيام جماعة عامة لهم داخل المسجد
الحرام ومسجد الخيف كما شهدتها في عهد سماحته .

وكان رحمه الله الى جانب ذلك كله محفوبا بالكرامة والاجلال
من سلطة البلاد نظرا لما عرفه العالم الاسلامي والعربي عن
مواقفه السابقة في عهد الاستعمار العثماني الفرنسي . فما ان
عزم سماحته على السفر للحج حتى تبرع له ملتزم الباخرة (راشد
بك عسيران) بجناح خاص . وما ان وصل الى جدة حتى تشرف
بزيارته محمد ناصيف وكيل الامارة فيها ومعه ثلة من الوجهاء .
وفي اليوم الثاني زاره القائم باسم الملك ، ثم جاءه احد قادة
الجيش موفدا من الملك حسين بن علي ليكون في صحبته دائما
وضل ملازما له حتى وصل مكة ، فانزله في بستان للدولة هناك .
ثم جاءه وزير الخارجية باسم الملك زائرا ومرحبا وكان بصحبته
قاضي القضاة . ونفر من حاشية الملك .

وتكررت بعدها زيارات وزير الخارجية - الشيخ فؤاد
الخطيب - باسم الملك للعناية بالامام شرف الدين هذا الى جانب
الحفاوة التي كان يبديها سدنة البيت الحرام . كما تشرف فيه .
وقد تشرف الملك بالاجتماع به في البيت الحرام واشتركا
معا في غسل البيت الشريف - الذي كان الملك يحتكره لنفسه
دائما - .

هذا وقد اقام الملك لسماحته عددا من الولائم الخاصة والعامة .

فدات يوم اقام له وليمة في ثكنة الجيش دعا اليها وجوه الحجاج من سائر الاقطار ، ثم قام الجيش باستعراض امام الثكنة تكريما لسماحته . وكان الملك في هذه الحال واقفا الى جانبه يحييان الجيش اثناء استعراضه .

وقد جرت له عدة مناظرات مع العلماء الحجازيين والأمين (١) الحجاز من فلسطين دارت رحى البحث فيها حول ايمان ابي طالب . وامامة المذهب وغيرها مما كانت نتائجه موضع اعجاب من الملك نفسه وخاصة في المسألة الاولى التي كان حاضرا حال المناقشة والبحث .

وبعد ان اكمل سماحته مراسيم فريضة الحج عاد والاجلال يحفه مع جماعته الى بلاده . وما ان وصل الى بلده صور حتى اخذ العلماء والوجهاء وسائر الطبقات والافراد يؤمون داره لزيارته والاشادة بعظمة ذاته .

٣ - زيارته مشاهد العراق وايران

قصد العراق سماحة الامام شرف الدين للتشرف بزيارة المراقد المقدسة هناك في اواخر سنة ١٣٥٥ هجرية وما ان اطل على بغداد حتى استقبله العلماء والوجهاء ورئيس مجلس الاعيان في العراق - السيد محمد الصدر - وعدد من الوزراء والنواب وكثير من المؤمنين .

وصل سماحته بغداد وحل ضيفا على السيد الصدر كان طيلة اقامته عنده موضع التجلية والاحترام . واخذت الشخصيات الدينية والسياسية تتالى على سيادته بغية زيارته .

(١) القاصدين . ح .

ثم ذهب السيد الى النجف الاشرف ، فهرع العلماء والادباء وسائر المؤمنين لاستقباله والحفاوة به . ونزل فيها ضيفا على سماحة اية الله الشيخ محمد رضا آل ياسين . بقي ما يقرب من عشرة ايام كان فيها موضع الاحترام والحفاوة وقد عقدت له الدعوات والندوات والحفلات . من ذلك ما اقامته جمعية الرابطة الادبية في النجف من حفلة ادبية شيقة تكريما لسماحته القيت فيها كلمات الترحيب وقصائد الاكبار والاشادة بمأثرة .

وبعد ان تشرف بمرقد النجف ومراقد كربلاء والكاظمية وسامراء توجه الى ايران قاصدا زيارة الامام الرضاع .

وهناك وجد من الحفاوة ما لا يقل عما رآه في مختلف البلدان التي زارها ان لم يزد على ذلك بكثير . فلما وصل طهران استقبله مع العلماء (اية الله الشيخ شريعة مدار) وانزله في داره . واستقبله العلماء والمؤمنون في مختلف البلدان التي مرّ او نزل فيها ، وكان فيها جميعا ضيفا على العلماء وموضع احترام وتقدير من مختلف كافة الطبقات .

بقي سماحته ما يقرب من شهر واحد في ايران ثم توجه الى وطنه فوصل في اوائل سنة ١٣٥٦ هجرية .

كفاحه ضد الاستعمار

وقع لبنان بما فيه جبل عامل ، تحت نير السلطة العثمانية - بعد حركات التتر ، والحروب الصليبية - فنشرت سلطانها على البلاد ومنحت المسلمين من المذاهب الاربعة حريات مختلفة . بينما ضيقت الخناق على الرعايا المسلمين من ابناء الطائفة

الشيوعية في جبل عامل .

عند ذلك قام علماء الامامية بكثير من الاحتجاجات يطالبون فيها بالتسوية بينهم وبين اخوانهم المسلمين من الطوائف الاخرى واستمروا على ذلك مدة من الزمن حتى قام الوطنيون يطالبون بالاستقلال .

ففي حوالي سنة ١٩١٣م تالفت في لبنان لجان من كافة انحاء وكونت رأيا موحدا يقضي بالعمل على طلب الاستقلال وكان جبل عامل بما فيه عميده - الديني والسياسي الامام شرف الدين - من جملة اولئك الوطنيين الاحرار الذين عملوا من اجل الاستقلال الوطني .

اخذ الوطنيون بالعمل واجرو عدة اجتماعات ومشاورات وقدموا عدة احتجاجات الى الحكومة العثمانية .

وبعد عدة مقابلة حصلت بينهم وبين الحكومة . اندفعت السلطة واتخذت اجراءات شديدة كثر من جرائمها الاعتقال والتشريد . وقامت بحملة من احكام الاعدام نفذتها بحق بعض الوطنيين في ساحة المرجة بدمشق وفي ساحة الشهداء ببيروت . واعدم في هذه الحملة (٤٢) شهيد وحتى الان يحتفل لهم في لبنان كل عام في ٦ ايار (١) .

اتخذت الحكومة تلك الاجراءات التعسفية وظل الوطنيون في حرب دائب مع السلطة العثمانية حتى نشبت الحرب العالمية في سنة ١٣١٤ هجرية فعندها سكنت حركة الاحرار قبال العثمانيين واشتغل الجميع بويلات الحرب .

(١) العرفان م (٤٧) ص ٩٩٩ .

وفي سنة ١٣١٩ هجرية همدت نار الحرب في معاهدة (ورساي) ووقعت لبنان - بموجب تلك المعاهدة - تحت نير الاستعمار الفرنسي فثارت ثائرة جبل عامل من جديد واصلوا استيائهم من الاستعمار الفرنسي واعاد الوطنيون نشاطهم في طلب الاستقلال .

وبعد برهة من الزمن قام العلماء - من جديد - بقيادة الامام شرف الدين يطالبون الحكومة الفرنسية بتسوية حقوق الطائفة الجعفرية مع غيرها من الطوائف الاسلامية الاخرى .

ولما رأت الحكومة من الامام شرف الدين كثرة في النشاط وزيادة في العمل ارسلت باحد قادتها في الجيش - المعروف بابن الحلاج - في زمرة من الجنود الى داره محاولة بذلك اعتقاله . فثار اهالي جبل عامل في صور ونواحيها ووقفوا مواقف الابطال ضد ذلك الاجراء وكادت ان تقع الواقعة الا ان السيد نفسه تفادى الامر ووقف فيما بين الطرفين للاصلاح وتهدئة الامور . وهنا اشتدت حركة الاحرار في جبل عامل ضد الاستعمار . وقام العلماء بقيادة الامام شرف الدين وسائر افراد الشعب والرؤساء بقيادة كامل بك الاسعد وجماعته فناهضوا الحكومة ومطالبين بالاستقلال راغبين فيه من أجل الالتحاق بسوريا حيث يتزعمها الملك فيصل الهاشمي لذا جرت بينهم وبينه عدة اتصالات سرية .

ولما لاحظت الحكومة تطور الحالة في البلاد حاولت تهدئة الوضع في جبل عامل . فمنحت الطائفة الجعفرية حقوقها المقابلة لها في الطوائف الاخرى .

الا ان العلماء بعد تطور الاحوال في البلاد لم يكونوا ليرضوا بهذا ، فدأبوا مستمرين في طلب الاستقلال الى جانب اخوانهم الوطنيين .

وفي عام ١٩١٩ م اتفق الوطنيون من العلماء والرؤساء وممثلي الطبقات العامة من الشعب على عقد مؤتمر في (وادي الحرير) (١) من أجل وضع المناهج . وتحديد طرق العمل في سبيل الحصول على الاستقلال .

وبعد ذلك بايام . اجتمع الوطنيون واصلنوا على المأ رغبتهم في الاستقلال . مطالبين بالانفصال عن لبنان والالتحاق بسوريا .

علمت الحكومة الفرنسية في ذلك فطاردت اعضاء المؤتمر الوطني واعتقلت من وقع في قبضتها . وفر الباقون على وجوههم نحو الشام وفلسطين .

اما سيدنا الامام شرف الدين فقد طورد من قبل الفرنسيين بشدة لم يتركوا وسيلة الا استعملوها في سبيل الحصول عليه . الا ان يد المعونة الالهية جعلته يفر الى دمشق باعجوبة متنكرا تحت كوفية وعقال .

ولما علم الفرنسيون بفراره الى دمشق اسرعوا الى داره في بلدة شحور فاحرقوها . وجاؤا الى داره في صور فنهبوها وجعلوها مقرا للجنود بعد ان احرقوا مكتبته التي كانت تحتوي على عصارة حياته اذ كان فيها ما يقرب من عشرين كتاب مخطوط بعد لم يطبع . ذكرناها في جملة كتبه .

(١) بلدة تقع على الحدود اللبنانية السورية المفضية الى دمشق .

ولما فر الوطنيون من قبضة الحكومة الفرنسية ولجأوا الى دمشق - التي كانوا يطالبون بالاستقلال من اجل الحقوق بها - هاجم الفرنسيون دمشق من اجل الاستيلاء على سوريا فكانت واقعة ميسلون . وفيها اشتبك الجيش العربي بقيادة يوسف العظم مع الجيش الفرنسي بقيادة الجنرال (غورو) واسفرت عن مقتل العظم ، وتنازل الملك فيصل عن عرشه وذلك في ٢٤ تموز سنة ١٩٢٠ .

لما فر الامام شرف الدين الى دمشق حل ضيفا على الملك فيصل فكان موضع الحفاوة والاكبار طيلة اقامته فيها .

وفي بعض الايام بعث الملك فيصل بيد ناموسه الخاص احسان الجابري الى سماحة السيد ببدره فيها خمسة الاف دينار من الذهب فرفض السيد قبولها قائلا : « نحن لم نثر على القوم من اجل المال ولكنها عقيدة دينية نستجيب لها كلما خشينا على تراث محمد ان يصاب » .

ويقول في ذلك الامير شكيب ارسلان : لم يحل من نفسي محل التجلة والاكبار أحد كالسيد عبد الحسين شرف الدين الذي قاد ثورة جبل عامل على الافرنسيين سنة ١٩١٩ م . ثم يذكر القصة السابقة ويقول : ان ذلك مما اكبر هذا السيد في نفسي . وساتحدث بخلته هذه ما حييت (١) .

ضل السيد مقيما في دمشق يحضر الاجتماعات السياسية التي تنعقد هناك ابان تلك الاضطرابات السياسية - وكان يدلي بأرائه وافكاره كلما وجد للحق سبيلا فكانت له فيها مواقف

(١) دين وتمدين بقلم محمد علي الحوماني ج ١ ص ٢٢٩ .

عظيمة وآراء سديدة سجلت له حصة الاسد .

وبعد ان هاجم الفرنسيون دمشق واشتدت الحال فر السيد الى فلسطين . وهناك في حيفا اجتمع بالملك فيصل بعد ان ترك دمشق .

ولما اراد الملك الذهاب الى الحجاز عرض على السيد مصاحبته اليها فابى سماحته ذلك وعزم على الذهاب الى مصر .

وفي سنة ١٣٣٩ هجرية توجه سماحته الى مصر بزيه المتنكر فيه . الا ان مصر لم يخفى عليها شخصه الكريم حيث عرف من قبل يوم جاءها زائرا سنة ١٣٢٩ هجرية .

ذهب الى مصر وكانت له فيها مواقف مختلفة مع ارباب العلم والادب والسياسة كما عرفت مصر ذلك منه في رحلته الاولى اليها وبعد مضي مدة عليه في مصر ضاق صدره من جراء انقطاع اخبار وطنه واهله عنه فتركها وقصد فلسطين واستقر بها مدة من الزمن .

وصل سماحته الى فلسطين واستقر في بلدة (علما) الواقعة على الحدود اللبنانية من جهة جبل عامل - وفيها اجتمع بزعيم جبل عامل كامل بك الاسعد . واتفقا على الاتصال بمسيو (كورد) ممثل فرنسا في الشام للعمل معه على العفو عن جميع الوطنيين الفارين من بلادهم والمعتقلين في السجون .

وبعد لاي - ايس السيد من الاستفادة بتلك الوساطة - عزم سماحته على الذهاب الى العراق حيث صار الملك فيصل ملكا عليها .

علمت الحكومة الفرنسية بعزمه الذهاب الى العراق فهاها

الامر وخافت تجدد الفتن • فارسلت اليه بالعفو عن نفسه
— تفاديا لما تخافه من جراء ذهابه — •

ابلق السيد بالعفو وهو بعد في فلسطين بعلما فتوجه الى
دمشق ومنها الى بيروت ولم تطب نفسه بالذهاب الى بلدة دون ان
يسعد اخوانه بالراحة والاستقرار •

ولما وصل سماعته بيروت اجتمع باعضاء الحكومة الفرنسية
من اجل العفو عن اخوانه الوطنيين الذين هم في غياهب
السجون والفارين على وجوههم في البلدان • وبعد امد طال فيه
الجدال والاجتماع والنقاش اذعنت الحكومة لطلبه فاصدرت
عفو عن عموم الوطنيين من اخوانه العاملين •

بعد هذا •• توجه سماعته الى بلده (صور) وفي طريقه
التي يمر بها في صيدا استقبلته الجماهير هناك شيبا وشبانا
كبارا وصفارا • ثم استمر في سيره حتى قارب صور وهناك
كان اهالي جبل عامل من صور ونواحيها قد هبوا بعدهم
وعديدهم الى استقباله • فكان يوم وصوله لدى جبل عامل يوم
فرح وسرور عقدت له بعد مقدمه الحفلات والندوات تبارى
فيها الادباء والشعراء حتى كانت اياما مشهودة •

هكذا كانت حياته عليه الرحمة مليئة بالجهاد والكفاح ضد
الاستعمار في سبيل دينه ووطنه لم تفتقر عزيمته أبدا حتى بعد
هذا الاذى •

ففي سنة ١٣٥٨ هجرية شرعت الحكومة الفرنسية قانونا
يقضي بخضوع الرعايا اللبنانيين الى قانون الاحوال الشخصية
المدني — المشتغل على كثير من الاحكام المخالفة للاسلام —

فضيح المسلمون من هذا القانون وكثر الكلام فلم تصفى الحكومة
للشعب بوجه ما .

عند ذلك نهض الامام شرف الدين فخط بقلمه الشريف ذاك
الاحتجاج العظيم (١) الذي اعلن فيه باسم مسلمي لبنان كافة
عدم خضوعهم لقوانين تخالف احكام دينهم وانهم سوف يثبتون
على ذلك مهما كلفهم الثمن غاليا . فضجت الحكومة لهذا
الاحتجاج وخافت اشتعال نار الفتنة بعد ان مضى على هدوئها
الى حد ما مدة من الزمن . فسارعت الى تعديله وجعل الرعايا
المسلمين مخيرين بين الخضوع الى قانون الدولة او الرجوع الى
احكام دينهم تبعاً لمذاهبهم كما هو عليه لبنان اليوم .

وانتهى عهد الاستعمار وولى الاستعمار الفرنسي بعد ان
احرق القلوب واذاب النفوس وعاث في البلاد الفساد .

ولما جاء عهد الاستقلال فلم يقف السيد عن العمل من اجل
الاصلاح والمصلحة العامة فكانت له مع الحكومة كثير من المواقف
العظيمة التي لم ينساها التاريخ ولن ينساها .

اذكر موقفاً له قبيل وفاته - قدس سره - يوم ابرق للحكومة
سماحة العلامة الشيخ محمد تقى صادق عالم النبطية في لبنان -
برسالته المليئة بالانذار والتحذير والتهديد والتنديد والوعيد
والوعيد من سطوة الشعب وغضبه . ومثلت فيها الصراحة التامة
والجرأة العظيمة .

مما دفع الحكومة - التي كان يرأسها شمعون وسامي الصلح -
الى محاولة اتخاذ بعض الاجراءات ضد سماحته فاعزت الى

(١) تحدثنا عنه في حقل كتبه من هذه الرسالة .

قائمقام النبطية امرا باعتقاله فأبى عليها ذلك ووقف بجانب
الشيخ الصادق .

وهنا علم السيد شرف الدين بذلك فابرق للحكومة قائلا :
العلامة الصادق رئيس الطائفة ورمزها . وحامل لوائها . فاي
اذى يصيب الشيخ فقد أصاب الطائفة جمعاء وعندئذ تعلمون ما
يكون وماذا تكون النتائج . فارجعوا عن غيكم خير لكم » .
فعندها وقفت الحكومة حتى كأن لم يكن هناك شيء يذكر .

هكذا تمثل الكفاح الديني والوطني في سماحة الامام شرف
الدين طيلة حياته العملية . وارتسم اسمه بعد ذلك في افق
العالم الاسلامي والعربي . وسيضل جهاده ينير الدرب للسالكين
الى الابد .

في عالم الخلود

- وفاته ونعيه
- تشييعه ومدفنه
- تأبينه ورثاؤه
- آراء العلماء فيه
- عقبه ونسله

وفاته ونعيه

اكمل المقدس شرف الدين العام السابع والثمانين من عمره الشريف في جهاد مستمر في سبيل رفع راية الحق • ومجابهة اعداء الدين والوطن •

لقد كابد الامام غصصا جمّة ومحنّا متتالية – بلغ مسمك لمحات عنها فيما تقدم – كان القليل منها كفيل للاطاحة بحياته قبل عشرات الاعوام والسنين • ولكن ارادة الله سبحانه ابت الا ان يقر عينه في حياته بما اراده لهذه الامة من خير • وحققه للاجيال من سعادة في حقل العلم والتعليم •

وبعد لاي من الزمن تحكمت منه محن الحياة وآثار الشيخوخة فجعلت من سمّاحته جليس فراش مدة من الزمن • ذلك اثر اصابته ب (كريب) مما استدعى نقله الى مستشفى (اوتيل ديو) في بيروت • وهناك اتسع الخرق على الراقع فقد تجددت عليه الآلام في الجسم والرئة وغيرهما مما اوجب الخطر فخير على حياته الغالية بعد مرور شهر عليه داخل المستشفى •

واخيرا شاء الله ان يفارق هذا الامام الحياة الدنيا ، ليرفع بروحه الطاهرة الى الرفيق الاعلى ، صباح الاثنين في الثامن من جمادي الاخرة سنة ١٣٧٧ هجرية الموافق ٣٠ كانون الثاني

سنة ١٩٥٧ م في الساعة الخامسة والنصف .

قضى الامام شرف الدين ، وغاب عن الامة بنوره الوضاء وصوته العذب ولكن ذكره سوف لن يغيب عنا مدى الدهر ولن تنمحي آثاره الى الابد وسيظل (١) في دنيا الحياة بعلمه وعمله وخدماته الجمة .

وفي الساعة الثامنة من يوم الاثنين مساء نعتة (الاذاعة اللبنانية) بالكلمة التالية : « نعي الينا سماحة المجتهد الاكبر الامام السيد عبد الحسين شرف الدين ، مرجع الطائفة الشيعية الاسلامية ، قبضه الله تعالى الى رضوانه عن عمر قارب التسعين ، قضاه في الكفاح والجهاد لخدمة الدين والعلم والوطن . لقد نذر الفقيد الكبير نفسه طوال حياته لنشر فضائل الدين وتعاليمه الكريمة في مؤلفاته الكثيرة القيمة التي عبرت عن مختلف وجوه الحق والعدالة والمحبة بين الطوائف ، وكانت هذه المؤلفات مرجعا ولسانا لكل من ينشر هذه المثل العليا السامية في البلاد العربية والاسلامية . كان الفقيد الكبير ينهض باعباء الدعوة للخير ووحدة الكلمة واصلاح حياة الناس ، سواء في قضائه ام في جهاده الديني والاجتماعي ام في دروسه العلمية التي كان يدأب دون انقطاع في بذل الجهد لها من راحته وعافيته ، ام في احياء مشاريع العلم التي ترفع ظلمة الجهل وتهدي الى سوام السبيل . ومن مآثره الخالدة ذلك الصرح العلمي الكبير الذي انفق من عمره المبارك سنوات لتشييده وترسيخ مكانته في جزم من الوطن العزيز . نعني بهذه الكلية الجعفرية ، التي اعانت كثيرا من المواطنين المعوزين على تلقي العلم

(١) الاصح سيبقى . ح

والتهذيب . ومن مآثره الخالدة مواقفه الوطنية المشهودة .
وصرخاته الاصلاحية في تعزيز كلمة الوطن ، وصيانة استقلاله
وتوحيد صفوفه حتى ذهب صيته في البلاد العربية والاسلامية
عامة وكانت له الكلمة المسموعة لدى جميع الفئات العليا في
شؤون الدين والعلم والاصلاح وسينتقل جثمان الفقيد صباح
اليوم بالطائرة الى العراق ليودع الى جانب مدافن الأئمة في
النجف الاشرف .

كما نعتة جمعية منتدى النشر - في النجف الاشرف - بالكلمة
التالية : -

« تنمي جمعية منتدى النشر . ببالح اللوعة وعظيم الاسف
علم الامة الشامخ ، وحصنها المنيع سماحة حجة الاسلام آية الله
السيد عبد الحسين شرف الدين الذي كان وحده جيشا مرابطا
في ثغور الاسلام .

فقد استأثرت به رحمة الله في لبنان بعد ان ناهز التسعين
عاما قضاها في جهاد مستمر ونضال منقطع النظير . وهو حين
يلقي بسلاحه على عتاب القدر بعد هذا العمر المديد ، فانما
يلقيه بعد ان بلغ في جهاده بامته أوج ما ينتظر لها من نصر .

واما آثاره الخالدة التي تركها في مختلف ميادين الجهاد سواء
في مجالات الذب عن المبدأ والعقيدة بقلمه الشريف
ك (المراجعات) و (الفصول المهمة) و (النص والاجتهاد)
وغيرها . ام في مجالات مناهضة المستعمرين الادفاعا عن حوزة
الاسلام سواء بلسانه البليغ وسنانه النافذ ام بما وضع للتعليم
من مناهج طبقها في كليته الجعفرية .

والجمعية اذ تبكيه فانما تبكي فيه - بالاضافة الى خسارتها العامة - خسارتها الخاصة به حيث كان رحمه الله من اهم الموجهين لفكرتها الاصلاحية والمباركين لحركتها الثقافية بما كان يخصصها به من محاضراته القيمة في مواسم « المجتمع الثقافي » . « . »

كما نعته في النجف كل من جمعية الرابطة الادبية وجمعية التحرير الثقافي والهيئة العلمية وغيرهم . وفي كربلا نعته الهيئة العلمية ولجنة الثقافة الدينية وغيرها .

هذا وقد ملئت المجلات العربية والاسلامية اعمدتها بكلمات التأبين في كل من ايران ولبنان وباكستان والهند والعراق وسائر البلدان التي عرفت جهاده ونضاله .

تشيعه ومدفنه

وفي صباح اليوم الثاني - الثلاثاء - من وفاته . شيع الجثمان من المستشفى الى مطار بيروت الدولي . وسط موكب محتشد يسيطر عليه الحزن والأسى . يقدمه العلماء - رؤساء الدين - ورؤساء الحكومة دولة رئيس الجمهورية ورئيس مجلس الوزراء والنواب ورجال السلك الدبلوماسي السياسي والعسكري . وبعد مضي ثلاث ساعات - تقريبا - وصل الجثمان الى المطار فاودع بالطائرة متجهة به نحو العراق قبل الظهر بنصف ساعة . وكان يصحب الجثمان في الطائرة ابنائه : السيد محمد رضا شرف الدين والسيد جعفر شرف الدين - نائب صور العالي - كما كان كل من ابن اخ الفقيه السيد نور الدين شرف الدين ،

والسيد عباس ابو الحسن والشيخ احمد عارف الزين وأربعة
آخرون من مؤمني بيروت وصور وما حواليلها .

وصلت الطائرة الى مطار بغداد المدني في الساعة الثانية بعد
الظهر حيث كانت الجموع محتشدة هناك من بغداد والكاظمية
والنجف الاشرف وكربلاء . فاستقبل الجثمان وتوجه فيه موكب
التشييع نحو مرقد حرم الامامين - الكاظم والجواد - في
الكاظمية . وبعد ان تشرف الجثمان بتلك البقعة المقدسة توجه
الجثمان وسط موكبه الزاخر بسيارات التشييع الى كربلاء .
ومرَّ الجثمان بطريقه على مدينة (المسيب) فاستقبلته
جماهير البلد من العلماء والوجهاء وسائر الافراد وتباركوا في
حملة حتى آخر المدينة وهناك تابع الجثمان سيره الى كربلاء
فوصلها ليلا فاستقبل من قبل الجماهير المنتظرة لمقدمه . وفي
صباح اليوم الثاني - الاربعاء - توجه الجثمان نحو حرم الامام
الحسين وحضرة اخيه ابي الفضل العباس وسط موكب التشييع
الحافل بالتكبير والتهليل والبكاء .

وبعد الطواف في البقعتين المقدستين . توجه الجثمان الى
النجف الاشرف . وفي منتصف الطريق - خان النصف - استقبل
الجثمان من قبل مختلف الوجوه الدينية بما فيها الهيئات العلمية
والزعماء والوجهاء والتجار الذين توجهوا من النجف الاشرف
لاستقباله .

ثم تابع الجثمان سيره حتى وصل الى النجف الاشرف
فاستقبلته جماهيرها من اول البلد حيث كانت قد هبت لملاقاته
عن بكرة أبيها منذ اول النهار رافعة اعلام العداة مرددة النواحي
الشعبية الشجية .

وهكذا بين التكبير والتهليل والاحزان والدموع وصل
الجثمان الى الحضرة الحيدرية . وفي بهو الحضرة - الصحن
الشریف - صلى عليه سماحة امام العصر ومرجعه الاكبر السيد
محسن الحكيم ثم ابّن من قبل العلماء والخطباء وبعد ذلك
تشرف بحضرة الامام علي عليه السلام ثم اودع مقره الاخير
وسط غرفة من غرف الصحن الشريف في الجهة الشمالية الغربية
وذلك يوم الاربعاء عاشر جمادي الآخرة سنة ١٣٧٧ هـ فاستقر به
المقام في النجف مهد دراسته ومقر لحدّه . (طيب الله ضريحه) .
وقد فرشت أرض الغرفة التي دفن فيها بالكاشي ثم بالسجاد
الايراني من قبل الحكومة العراقية تعظيما لذاته .

تأبينه وراثؤه

لقد كان لنبا وفاة الامام شرف الدين وقع كبير في نفوس
المؤمنين عقدت من اجله المآتم ومجالس التأبين عشرات الايام
في شتى البلدان الاسلامية .

ففي النجف الاشرف اقام آية الله الشيخ مرتضى آل ياسين
مجلس الفاتحة لمدة ثلاثة ايام - كانت اول مجلس ، لما بينه وبين
الفقيد من اواخر القربى - واقام سماحة آية الله الامام السيد
محسن الحكيم مجلس الفاتحة لمدة ثلاث ايام . ومثل ذلك كل من
آية الله المقدس السيد عبد الهادي الشيرازي وآية الله السيد
ابو القاسم الخوئي ، وآية الله السيد محمود الشاهرودي وآية
الله المقدس السيد حسين الحماشي والهيئة العلمية العاملة في
النجف الاشرف ، وجمهور الهيئة العلمية في النجف .

اما في لبنان وكربلاء والكاظمية وبغداد وايران والبحرين،
والكويت وباكستان والهند وافريقيا وسوريا والقطيف والاحساء
فقد اقيمت عشرات مجالس الفاتحة على روحه الطاهرة
المقدسة . كما تتالت برقيات التعازي منهم على اسرة الفقيد
والعلماء .

وبعد مرور اربعين يوما على وفاته اقام آل الفقيد في ٢٠
رجب سنة ١٣٧٧ هـ مجلس الفاتحة على روحه وحفلة تأبينية
في ساحة الكلية الجعفرية بصور .

وبعد ان غصت الساحة على رجبها بالحضور وقف عريف
الحفل والاستاذ خليل شرف الدين فابن الفقيد . وتلى موقفه
كلمات كل من السادة العلامة السيد علي مهدي ابراهيم ،
والعلامة السيد عباس ابو الحسن ، والاستاذ شكر الله الحداد .
كما القى الشعر في هذا الميدان بقصائد كل من السادة العلامة
الشيخ عبد الكريم صادق . والعلامة الشيخ سليمان ظاهر
وفضيلة الشيخ عبد المحسن الظاهر . وفضيلة الاديب السيد عبد
اللطيف فضل الله وفضيلة الاديب السيد محمد نجيب فضل الله
وفضيلة الاستاذ محمد حسني صندوق - من دمشق - وآخرون
غيرهم .

وفي لبنان ايضا اقيم في دار الفتوى ببيروت حفلة تأبينية
بدعوة من ساحة مفتي الجمهورية الشيخ محمد علانيا غصت
القاعدة بالحضور وتبارى الخطباء في الاشادة بذكر الراحل
وتناوب على المنصة الشعراء الذين تعلت قصائدهم بالحرية
ونقد الوضع السياسي الحاضر - آنذاك - .

أما في النجف الاشرف فقد أقامت جمعية منتدى النشر حفلة تأبينية في بهو مدرسة الامام البروجردي عصر يوم الجمعة حضرتها الهيئات العلمية والوفود المدعوة وسائر الطبقات حتى غصت المدرسة بساحتها وطبقاتها المتعددة وهناك تقدم عميد كلية الفقه ورئيس الجمعية الشيخ محمد رضا المظفر فابن الفقيه بكلمة ارتجالية دامت لما يقرب من الساعة ثم تلاه كلمات كل من مدير الجمعية السيد هادي فياض والعلامة الشيخ جعفر الصادق . وقصيدة كل من الاستاذ محمد القاموسي والاستاذ محمد حسين المحتصر وخطباء وشعراء آخرون .

كما اقامت جمعية الرابطة الادبية في النجف حفلة تأبين - ايضا - حضرتها الهيئات العلمية وجميع الوفود المدعوة وسائر طبقات الشعب وأفراده وبعد ان غصت ساحة الجمعية بالحاضرين تلى عريف الحفل كلمات كل من السيد محمد بحر العلوم والشيخ محمد الخليلي وقصائد كل من الشيخ محمد علي اليعقوبي رئيس الجمعية والسيد حسين بحر العلوم والشيخ عبد الغني الخصري رئيس جمعية التحرير الثقافي وآخرون . كما أقيمت مجالس الفاتحة على روحه مع حفلات التأبين بهذه المناسبة في كل من كربلاء وايران وغيرهما من البلدان الاسلامية .

آراء العلماء فيه

الامام شرف الدين عظيم بكل ما للكلمة من معنى . لذا فكان لا بد من ان يزن لنا شخصيته ، العظماء من امثاله . عارفي قيمة الدر ومثمنوه . وقد يما قيل : لا يعرف الفضل الا ذووه .

لذا فها أنا ذا اتقدم باقوال العلماء فيه بعد وفاته طيب الله
ضريحه • وادام لنا ظلهم الوارف •

قال الامام السيد محسن الحكيم في معرض حديثه عنه : —
« ان السيد معدن رحمة واحسان فلا يفيض الا رحمة
واحسان » النشاط الثقافي س ، ص ٢٤٠ •

وقال آية الله السيد ابو القاسم الخوئي
« التقيت بالفقيه الراحل في لبنان عام تشرفي بحج بيت الله
الحرام • والتقيت به في زيارته للنجف الاشرف • وفي كلتا
المرتين لمست في خلقه عظمة لا تجارى ، وفي آرائه عتيدا لا
يُدانى ، وان جهاده في سبيل الاسلام لا يكاد يجهله احد ...
وقد وفق في ذبه عن شريعة الاسلام ، وفي انتصاره للمذهب
الجعفري بالسبيل الاقوم ، والدعوة الى الاصلاح • جزاه الله عن
الاسلام خير جزاء المحسنين ، وقد ترك ورائه ثلثة لا يسدها
شيء ، وخلف في المسلمين رزعا لا ينسى وجرحا لا يندمل ... »
النشاط الثقافي س ١ ص ٢٣٨ •

وقال آية الله الشيخ عبد الكريم الجزائري
« اني اعرف فقيدنا الراحل منذ قديم الزمان رجلا قد بلغ في
العلم والادب الدرجة العليا • كما كان محيطا بالتاريخ الاسلامي •
احاطة كاملة • وكان ذا قلم سيال راق صاحب طيلة عمره
الشريف ذابا عن حوزة الدين ... » النشاط الثقافي س ١
ص ٢٣٩ •

وقال آية الله الشيخ حسين الحلبي

« كان الفقيه (قدس سره) من اعظم العلماء العاملين في سبيل اعلاء كلمة الحق ونشر لواء الاسلام . وان مؤلفاته الخالدة . ومواقفه المعروفة لخير دليل على ذلك ، فقد خسر المسلمون بوفاته خسارة عظيمة . . . » النشاط الثقافي س ١ ص ٢٣٩ .

وقال آية الله الشيخ مرتضى آل ياسين

« ان فقيدنا الراحل آية الله شرف الدين هو احد اولئك الافذاذ من علماء هذه الامة الذين نهضوا بتأدية رسالتهم كما ينهض الانبياء من الرسل بتأدية رسالاتهم . . . فقد اخذ على نفسه ما اخذه اولئك العظماء على انفسهم من النهوض باعباء الدعوة لهذا الدين الحنيف والقيام بما يفرضه الواجب من التبشير بالمبدأ والعقيدة بكل ما يملكه من وسائل الدعوة والتبشير فكان لقلمه ميدان . ولفمه وليده ميدان ، وكان في كل هذه الميادين فارسها المجلى وبطلها المغوار . . . » النشاط الثقافي س ١ ص ٢٤١ .

وقال آية الله السيد جواد التبريزي

« كان انسانا ذا انحاء تلتئم حلقتا بطانه على العالم والعسكري المتحرر ، والمفكر الجريء ، والمفوه الخطيب ، والمغامر المجاهد ، هذه امة من الابطال جاءت في بطل من الامة فمثله كمثله النفس في وحدتها كل القوى . . . » النشاط الثقافي س ١ ص ٢٤٠ .

وقال الحجة الشيخ آغا بزوك الطهراني
« ماذا يقول الواصف في راحلنا العظيم ، فقيه الاسلام

والمسلمين ، فقيد العلم والدين ، فقيد القلم والمنبر ، . أكان
مجتهدا بارعا ، ام خطيبا مصقعا ، ام باحثا ناقدا ، ام
مجاهدا دائب المناضلة عن الدين ، دائم الكفافة عن المذهب
الحق . نعم هو كل ذلك ، تشهد له به المحابر والمزابر والكتب
والدفاتر . . . » النشاط الثقافي س ١ ص ٢٣٩ .

وقال العلامة الشيخ محمد جواد مغنية

« لقد مضى على وفاة السيد أمد غير قليل ووقف قلمه منذ
اختاره الله اليه ولكن الناس في اقصى البلاد ما زالت تسأل عنه
وعن عنوانه ولا تسأل عن غيره (ممن تعرف) . . . ويكمن
السرف في قول الامام عليه السلام « لا علم بلا عمل » لقد كان
السيد شرف الدين عالما بحق لانه عامل . . . » العرفان م ٤٧
ص ٩٢٨ .

عقبه ونسله

ما ان عزم والد سماحته على ارساله الى العراق حتى سارع
الى زواجه من ابنة عمه السيد محمود شرف الدين . فانجبت له
من الاولاد : محمد علي ، ومحمد رضا ، وصدر الدين ، ومن
البنات زوجة أحد افراد عائلته السيد جواد هاشم ، وزوجة
العلامة الشيخ عبد الله السبيتي .

ولما توفي أخوه السيد شريف - والد السيد نور الدين شرف
الدين مستشار المحكمة الشرعية في بيروت اليوم - تزوج من
عياله حفاظا لها ولاولادها . - وهذه هي شقيقة الشيخ عارف

الزين - صاحب مجلة العرفان - فانجبت له من الاولاد : جعفر ،
ويوسف ، وعبد الله ، ومن البنات زوجة الدكتور محمد علي
آل ياسين - اليوم - التي كانت من قبل زوجة لاخته الدكتور عز
الدين آل ياسين ، وبعد وفاته تزوجها الدكتور محمد علي حفظا
لها ولاولادها .

امّا زوجته الاولى : فقد ألفت النجف منذ قطنتها مع سماحتها
ايام هجرته العلمية . وايام جاءت مع اولادها في ايام هجرتهم
الى النجف من اجل طلب العلم - لذا فقد كان لها تعلق كبير
بالنجف ، وبالحضرة العلوية . فاستأذنت من سماحتها البقاء فيها
بعد ان ترك ابنائها طلب العلم . وبعد اجابته لذلك استقرت
في النجف حتى وافاها الاجل عن عمر يناهز السبعين في جوار
جدها امير المؤمنين ع .

وامّا زوجته الثانية فقد توفيت بصور في شعبان سنة
١٣٧٦ هـ .

وامّا اولاده فقد ارسل بالسيد محمد علي ، والسيد محمد
رضا ، والسيد صدر الدين والسيد جعفر الى النجف الاشرف من
اجل طلب العلم واستمروا على الدراسة مدة من الزمن كانوا
طيلتها من الطلاب المشتغلين المحصلين . ثم لعبت بهم الاهواء
والافكار فتركوا طلب العلم . امّا السيد محمد علي فقد اصيب
في عقله وذهب الى لبنان ووافاه الاجل عاجلا . وامّا السيد
محمد رضا فاشتغل كموظف من قبل الحكومة اللبنانية في
المغرب . وامّا السيد صدر الدين فقد لمع في الادب العربي
فاسس جريدة الساعة في بغداد ومن بعد جريدة الالواح في
بيروت ومجلة النهج - اليوم - في صور . وامّا السيد جعفر

فقد تولى مهام المعهد الجعفري في صور ثم أصبح ناظبا في هذا الدور لمجلس النواب اللبناني وهو اليوم نائب صور .

وامّا السيد عبد الله فهو اليوم من طلاب العلم في جامعة قم - العلمية الشرعية الجعفرية - في ايران . وليس من المعروف وجود نشاط علمي لديه . يؤهله لان يسد الفراغ العلمي الذي كان يملؤه ابوه .

وامّا السيد يوسف فهو اليوم يعمل كمدرس في الكلية الجعفرية في صور .

خاتمة وعظة

عاش الامام شرف الدين شطرا من الزمن ملاء - حتى آخر
جزء منه - باصلاحاته البنّاءة ، وجهوده الجبّارة ، حتى كان
مثال رجال الاصلاح في كافة مراحل حياته .

عاش ولم يدع زاوية من زوايا الحياة الاجتماعية الا وغرس
فيها - بيده الشريفة - لنا اسمى النباتات ، حتى مثلت اهدافه
على مسرح الحياة بالشكل الواسع ، الذي شمل عموم نواحيها ،
والتي ينشدها المجتمع المسلم ، وتدفع الى تنميتها تعاليم محمد
 وآله (ص) .

عاش ولم تفته مناسبة اصلاحية ما دون ان ينفجر فيها قلمه
او يطلق لسانه . ليطلع على الامة بنور من الارشاد والتوجيه
وياخذ بيدها الى حيث الغاية المرجوة والهدف السامي .

لقد طوى القدر ذلك النور الساطع ، وخبث تلك الشعلة
الوضاعة من تاريخ الحياة المجيدة . واصبح الامام شرف الدين
في ذمة الله والخلود . ولم يبق لنا سوى ذكره الابدى ، واعماله
البارزة البناءة .

وعسى الالهام يدفع باحد ابنائه ليكمل من احفاده خلفا له

في هذا المنصب الديني الاعلى (١) • الذي اصبح يناديه ليل
نهار وسيظل مدى التاريخ •

وأخيرا • • اذا كان لموت العظماء دروسا ترينا كيف تحتفظ
الامة الوفية بخدماتهم • فما علينا الا ان نتعظ بحياة الفقيد
وتحتذى مثاله • ثم نتقدم الى دنيا الحياة باليقظة والامل • ومن
الله التوفيق • وعليه الاتكال • والله مع المحسنين • يجيبهم اذا
دعوه ويلببهم اذا نادوه •

لقد أبّن الفقيد ، ورثي الامام ، بمختلف انواع الشعر •
وقال فيه سماحة العلامة الشيخ نور الدين الاخوي راثيا
ومؤرخا لوفاته •

لقد فوجيء الدين في نكبة أطلت فروع الخافقين
طوت آية الله في خلقه ومن كان للحق انسان عين
اقول لتاريخه قل به قضى شرف الدين عبد الحسين
سنة ١٩٥٧ ميلادي

(١) لقد ألهم الله تع احد احفاده وهو السيد حيدر من اولاد السيد محمد
رضا (ر ه) الى ذلك وهو الآن من المشتغلين والمحصلين في عداد
طلاب النجف الاشرف الدينيين اخذ الله تع بيده ووفقه لان يكون
خير خلف لخير سلف • م •

المصادر والمراجع

- الدولة الفاطمية
الايام
في الادب الجاهلي
ماضي النجف وحاضره
ادب المرتضى
تاريخ العرب
المقالات
رياض العلماء
روضات الجنات
تفسير التبيان
النص والاجتهاد
خطط جبل عامل
مجالس المؤمنين
امل الامل في علماء جبل عامل
مجلة العرفان
شذرات من حياة السيد شرف الدين
تأسيس الشيعة
كلمة حول الرؤية
ندوة الاصفياء
بغية الراغبين
ثبت الاثبات في سلسلة الرواة
الذريعة
- للدكتور حسن ابراهيم
لطف حسين
لطف حسين
للشيخ جعفر محبوبه
للدكتور عبد الرزاق محي الدين
ترجمة محمد مبروك
لاغاضياء العراقي
تقديم الحجة المؤرخ اغابرزك الطهراني
للشيخ الطوسي
تقديم الحجة الكبير السيد محمد
تقي الحكيم
للسيد الامين
بقلمه العرفان
للسيد حسن الصدر تقديم السيد
شرف الدين
للسيد شرف الدين
للاستاذ محمد علي الحوماني
للسيد شرف الدين
للسيد شرف الدين
للحجة المؤرخ اغابرزك الطهراني

للسيد شرف الدين
للسيد شرف الدين
للسيد شرف الدين
للسيد شرف الدين
للسيد شرف الدين
للشيخ راضي آل ياسين
للاستاذ محمد علي الحوماني
للسيد المرتضى تقديم الشيخ عبد
الحسين الحلبي
تصدرها كلية الفقه في النجف الاشرف
تصدرها جمعية التحرير الثقافي

المراجعات
الفصول المهمة
الى المجمع العلمي العربي بدمشق
اجوبة مسائل جاز الله
المجالس الفاخرة
صلح الحسن
دين وتمدين
البيان السنوي للكلية الجعفرية
حقائق التأويل
نظام جمعية منشدي النشر
مجلة النجف
المراجعات المترجم باللغة الفارسية
مجلة النشاط الثقافي